الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة زيان عاشور

كلية الآداب واللغات و الفنون قسم اللغة العربية و آدابها

الموضوع:

أشكال التواصل في التراث البلاغي العربي

—دراسة في ضوء اللسانيات التداولية—

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في اللغة العربية وآدابها

تخصص: علوم اللسان

إعداد الطالبة: سهام عمران

أعضاء لجنة المناقشة

د/ .....رئيساً

د/ عبـــد الوهـاب المسعـود مشـــرفاً و مقرراً

د/ .....عضواً ممتحناً

السنة الجامعية

2016/2015

بسم الله الرحمن الرحيم

□دعاء

اللهم ألف بين قلوبنا و أصلح
ذات بيننا و اهدنا سبل السلام و نجنا
□من الفتن ما ظهر منها و ما بطن،

و بارك لنا في أسماعنا و أبصارنا ،و
قلوبنا و أرواحنا وذرياتنا ، انك أنت
□التواب الرحيم،

و اجعلنا شاكرين لنعمك متأنين بها
عليك فاعلين و أتمها علينا.

إهداء

إلى كل من ضحى بدمه و ماله من أجل رفع

راية الله أكبر وراية الوطن.

إلى الوالدين الكريمين حفظهما الله

" عامر و خيرة " .

إلى أختي " أمال " و أولادها

و زوجها " عبد الرحمن " .

إلى إخوتي : " أمين ، أنور ، عبد الرؤوف ،حسين "

إلى صديقتي "زهرة"

و لكل من له الفضل بعد الله عزّ و جلّ بنصيحة

و دعاء و إرشاد حتى وصلت إلى هذه المرحلة

إليهم جميعا أهدي ثمرة هذا الجهد المتواضع

سهام

شكر و امتنان

الحمد لله وحده

و الصلاة و السلام على من لا نبي بعده

أما بعد :

فإني امتثالا لقوله صلى الله عليه و سلم :

((لا يشكر الله من لا يشكر الناس))

أسجل هنا شكري و عرفاني بالجميل و تقديري .

أمّا شكري فللأستاذي المشرف على المذكرة الدكتور :"المسعود عبد الوهاب عمير
كلية الآداب واللغات و الفنون

سلّمه الله و رعاه

و أمّا عرفاني بالجميل و تقديري فإلى :

كل أساتذة الجامعة " الشهيد زيان عاشور " و أخص بالذكر الذين كان لهم الفضل في مساعدتي و توجيهي " جزاهم الله كل الخير .

و كل من علّمنا حرفا أساتذتنا و معلّمينا من الطور الابتدائي إلى الجامعي .

خطة البحث

فصل تمهيدي

مفهوم التواصل في التراث

مفهوم التواصل عند المحدثين

الفصل الأول: التواصل الذاتي

المبحث الأول: مفهوم التواصل الذاتي و عناصره.

المبحث الثاني: وجوه التواصل الذاتي.

الفصل الثاني: التواصل الشخصي

المبحث الأول: مفهوم التواصل الشخصي و عناصره

المبحث الثاني: أشكال التواصل الشخصي

الفصل الثالث: التواصل الإجتماعي

المبحث الأول: مفهوم التواصل الاجتماعي و عناصره

المبحث الثاني: عوامل التواصل الاجتماعي

مقدمة

الواقع أن تاريخ اللغات يحيطه الغموض لتغلغله في أزمان سحيقة، ولذلك لا تكاد -على وجه التحديد – نعرف عصر الطفولة للغة ما على وجه واضح.

واللغة العربية هي أقدم تلك اللغات الكثيرة التي بسطت نفوذها على رقعة متسعة من الأرض ،وعن نشأتها فهي محدودة في ألفاظها ،ومع مرور الأزمان وحاجات أهلها وكثرة متطلباتهم وتنقلاتهم أدى بهم إلى ابتكار لغوي جديد يعبر عما يريدون .

فاللغة أو علم العربية أو النحو أو علم اللغة أو علم اللسان مصطلحات تتردد في التراث اللغوي العربي للدلالة على دراسة اللغة العربية أو بعض جوانبها دراسة منظمة ،وهذا ما يسمى الاتجاه الشكلي الذي اختاره العربي في تقعيدهم لعلمي النحو والصرف ما يسمى عند الغربيين بلسانيات اللغة ،وهو معزول عن سياق التواصل الاجتماعي ،وهذا الأخير يدرس اللغة من جانب الالفاظ واستعمالها داخل المجتمع .ويتمثل في عدة مجالات ك:اللسانيات التداولية ،تحليل الخطاب ... وغيرها.

تشكل التداولية اليوم قطب رحى العلوم اللسانية ،إذ انصب اهتمام اللسانيين عليها ،وأملوا فيها وعليها أمالا عظيمة طامحين وطامعين أن يفكوا ألغازهم وأسئلتهم .

وتعتبر التداولية أهم فروع اللسانيات الاجتماعية وارتقت إلى أن تكون من العلوم اللسانية التي هرع العرب المحدثون إلى مواكبتها واللحاق بها، فتلفقوا هذا المولود الجديد .

لقد كان تحديد موضوع البحث من أصعب المراحل التي مرت بنا ،حيث كان لزاما علينا اختيار موضوع يتوافق نع تخصصنا المتمثل في علوم اللسان من جهة وميولنا إلى سبر أغوار التداولية من جهة أخرى ،فوقع اختيارنا على أشكال التواصل بين قديم وحاضر بين بلاغة العرب وفصاحتهم ،وحسن اصغاءهم مع اقناعهم ،وبين علم خطابي حديث تمثل في التداولية متداخل مع كيفية تحليل الخطاب ، وهذا التداخل بين الفرعين في كيفية استعمال اللغة وتوظيفها والحفاظ عليها ككيان مستقل.

ولهذا رأيت أن أبحث في جذور البلاغة العربية عن أشكال التواصل، وكيف عالجها البلاغيون العرب، وجاء تحديدي للتراث البلاغي العربي بمثابة حصر للموضوع وإلاّ تناثرت أطرافه بين التراث البلاغي للغات و أمم أخرى، حيث حصرت البحث في أشكال

التواصل في التراث البلاغي العربي، وهذا بالتعرض إلى كل شكل على حده. ثم انتقلت به من التراث إلى المحدثين، وركزت في ذلك على المصطلحات الواردة في التراث.

وقد بدأت بحثي هذا بفصل تمهيدي وضحت فيه مفهوم التواصل في التراث أولاً ثم عند المحدثين.

ثم قسمت البحث إلى ثلاثة فصول حيث كان عنوان الفصل الأول "التواصل الذاتي"، والذي وضحت فيه مفهومه والعناصر التي يقوم عليها، ثم انتقلت إلى وجوهه الثلاث التي فصل فيها البلاغيون، وهي: الاعتبار الذي ينطلق من تفكّر الإنسان وتدبره فيما حوله، ليتحول إلى الاعتقاد وهو الوجه الثاني- إذا ما أصبح معرفةً وعلما، أما الوجه الثالث فهو الصمت، ويقصد به الصمت الايجابي الذي غايته الإنصات.

ومنه انتقلت إلى الفصل الثاني الذي عنونته ب " التواصل الشخصي" وهو الذي يكون بين متخاطبين حاضرين، وبعد أن بينت مفهومه وعناصره انتقلت إلى البيان باللسان ثم البيان بالإشارة كآليتين من آلياته، ثم وضحت ضرورة السياق في العملية التواصلية ثم الإقناع والتواصل باعتبار أنه غاية من غاياته.

أما الفصل الثالث فهو: " التواصل الاجتماعي"، الذي بدأت كذلك بمفهومه وعناصره ثم انتقلت إلى الخطابة باعتبارها أحد أوجه التواصل الاجتماعي، كما أن البلاغيين كذلك ركزوا عليها من جانبي الإفهام والإقناع اللذين تطرقت لهما تحت عنصر الخطابة، ومنها تناولت مطابقة الكلام لمقتضى الحال، لأخلص إلى عيوب الكلام والتواصل، الذي تناولت فيه (ما يتعلق بالنطق/ الفصاحة في اللفظ والكلام/ اللحن/ ما يتعلق بشخصية الخطيب).

وبعد هذه الفصول الثلاثة خلص البحث على خاتمة تناولت فيها أهم النتائج التي توصل إليها البحث.

ولما كان المنهج المتّبع في الدراسة بمثابة الطريق والدليل في الرحلة، فقد اعتمدت المنهج الوصفي، وذلك باستقصاء ما جاء في التراث من أشكال التواصل ثم وصفها وتحليلها مع مقارنتها بما جاء عند المحدثين.

وقد اعتمدت في هذا البحث على مجموعة من المصادر والمراجع أهمها كتب البلاغة العربية ككتاب: البرهان في وجوه البيان لابن وهب (عاش أوائل ق 4هـ)، والبيان والتبيين للجاحظ (توفي 255هـ)، وسر الفصاحة لابن سنان الخفاجي (توفي 466هـ)، ودلائل الإعجاز للجرجاني(توفي 471هـ)، ومفتاح العلوم للسكاكي (توفي 626هـ)،

وغيرها من كتب التراث البلاغي، هذا بالإضافة إلى مجموعة من الكتب الحديثة سواء العربية أو المترجمة.

وككل بحث لم يخل هذا الأخير من صعوبات خاصة في الحصول على أهم المراجع والمصادر.

و أخيراً أسأل المولى جل وعلا التوفيق.

فصل تمهيدي

1. مفهوم التواصل في التراث
2. مفهوم التواصل عند المحدثين

توطئة:

من المعلوم أن الإنسان أرقى أنواع الحيوان، وأوسعها إدراكًا، وبسعة إدراكه كثرت حاجاته كثرة لا يستطيع الاستقلال بها وحده، فاحتاج إلى التعاون مع بني قومه، ولكن هذا التعاون يحتاج إلى واسطة للتواصل، فكانت هذه الواسطة هي اللغة، فباللغة يحدث التواصل، وبالتواصل يعرف كل فرد ما عند الآخر، وبهذه المعرفة يتحقق التعاون بين الأفراد.

ولعلَّ الكثير يظن أن التواصل كعلم، لم يظهر إلاَّ في العصر الحديث مع كوكبة من علماء الاتصال، لينتقل بعدها إلى علم اللغة ، الذي أقرب أنه الوظيفة الأساسية للغة، بل إن دراسته عند الإنسان قديمة جدا، فكل من أفلاطون 347/427(ق.م) وأرسطو 322/385 (ق.م) اعتبراه علما قائما بذاته[1]،كما لا يخفى علينا أن البلاغة العربية بذلت جهودا جبارة في دراسة اللغة وهي تؤدي وظيفتها الأساسية في المجتمع عن طريق اللغة العاد أو اللغة الأدبية الموجهة إلى طبقة معينة، وذلك عن طريق اعتنائهم بالبلاغة وعلومها (البيان، البديع، المعاني)إذ يرون بأن معرفة الإنسان بها تكفل صحة العملية التواصلية، التي تعرف نظريا بأنها « العملية التي تنتقل بها أو بواسطتها المعلومات والخبرات بين فرد وآخر أو بين مجموعة من الناس وفق نظام من الرموز، وخلال قناة أو قنوات أو طرق تربط بين المصدر أو المرسل والمتلقي أو فئة المتلقين»[2]

ومع ذلك فلفظ التواصل(يظل على تداول الألسنة له وورود في قطاعات معرفية مختلفة، لفظا يكتنفه العموم والإجمال، إن لم يكتنفه الغموض والإبهام، ذلك لو أننا أعملنا فكرنا في استعمالاته المختلفة، لوجدنا أنه يدل على معان ثلاثة متمايزة فيما بينها:أحدها نقل الخبر، ولنصطلح على تسمية هذا النقل ب:(الوصل)نظرا لأن هذا المصطلح يفيد الجمع بين طرفين ( ) والثاني، نقل الخبر مع اعتبار مصدر الخبر الذي هو المتكلم، ولنطلق على هذا الضرب من النقل اسم (الإيصال)والثالث، نقل الخبر مع اعتبار مصدر الخبر الذي هو المتكلم، واعتبار مقصده الذي هو المستمع معا، ولندع هذا النوع من النقل باسم (الاتصال)»[3].

[1] ينظر بلقاسم حمام –آليات التواصل في الخطاب القرآني –ص 11.

[2] أحمد محمد معتوق –الحصيلة اللغوية –ص 71.

[3] طه عبد الرحمان – اللسان والميزان أو التكوثر العقلي –، ص 254.

لكن ما تتفق عليه الاصطلاحات الثلاثة (الوصل/الإيصال/الاتصال)هو قيام عملية التواصل على عناصر أساسية وهي (متكلم/سامع/رسالة/قناة)، وعليه فإن هذه العناصر هي التي تكفل لعملية التواصل النجاح، مع وجود عناصر أخرى محيطة بها.

ومن هنا نخلص إلى تساؤل وجيه و هو:كيف حدد القدامى مفهوم التواصل؟ وما مفهومه عند المحدثين؟

I. مفهوم التواصل في التراث:

لقد ركز العرب في تعريف اللغة والبلاغة والبيان على خاصية التواصل، فابن جني(توفي 392هـ)، يعرف اللغة بقوله»:أما حدها فأصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم)[1]وهو بهذا يكون قد أعطى للغة سمة الجماعية، وهي سمة من سمات التواصل، إذ لا تكون اللغة لغة إلاّ إذا توفر فيها ملقٍ ومتلقٍ، وتكون صالحة للتعبير عن الأغراض في الاستمرارية.

وانحصرت وظيفة اللغة عند ابن سنان الخفاجي، في الوظيفة التبليغية، ويدل على ذلك قوله»:ومن شروط الفصاحة والبلاغة أن يكون معنى الكلام ظاهرا جليا لا يحتاج إلى فكر في استخراجه، وتأمل لفهمه (....) والدليل على صحة ما ذهبنا إليه (....)أن الكلام غير مقصود في نفسه وإنما احتيج ليعبر الناس عن أغراضهم ويفهموا المعاني التيفي نفوسهم)[2]

إن في كلام ابن سنان إشارة إلى التواصل من خلال توجيه رسالة من متكلم إلى سامع، وذلك عبر قناة وهي (الكلام)، فالمتكلم لا غاية له بالكلام ذاته وإنما ليوصل عن طريقه رسالة إلى سامعيه، ومن هنا فإن عملية التواصل تقوم عند ابن جني وابن سنان–من خلال تعريفهما للغة– على عناصر أربعة (متكلم، سامع، رسالة، قناة)، كما يظهر أن الإنسان في حاجة للغة لأداء أغراضه»وهكذا نجد أن حاجة الانسان إلى اللغة شرط من شروط تواصله مع الآخرين)[3]

كما يظهر مفهوم التواصل في التراث العربي، من خلال قول ابن سنان وهو في سياق حديثه عن البلاغة حيث يقول»: يكفي من حظ البلاغة ألاّ يؤتى السامع من سوء فهم الناطق، ولا الناطق من سوء فهم السامع[4])

---

[1]أبو الفتح ابن جني – الخصائص –ص 33.

[2]ابن سنان الخفاجي – سر الفصاحة –ص 220-221.

[3]مُحَمَّد بوعمامة – اللغة والفكر والمعنى –ص 236.

[4]ابن سنان الخفاجي – سر الفصاحة –ص 61.وقد أورده الجاحظ ونسبه لأبي مسلم الخرساني نقلا عن الإمام إبراهيم بن مُحَمَّد، ثم يعقب بقوله « :أما أنا فأستحسن هذا القول جدا(»البيان والتبيين، ج ،1ص 87).

وهنا يركز الخفاجي على الوظيفة الإفهامية للغة، فمن أوفر حظوظها أنها فهم وإفهام بين المتكلم والسامع، كما أن العسكري (توفي 395هـ)، يذهب إلى أن « البلاغة كل ما تبلغ به المعنى قلب السامع فتمكنه من نفسه كتمكنه في نفسك مع صورة مقبولة ومعرض حسن)[1]

يركز العسكري في تعريفه هذا، على إيصال المعاني بعد تمكنها في قلب المتكلم نفسه، فكأننا نراه يركز على تواصل المتكلم مع نفسه أولا وتفكيره فيما سيقول، وبعد أن يتمكن في نفسه المعنى يحاول إيصاله إلى المتلقي، وهذا وجه آخر من وجوه التواصل الذي يسميه المحدثون بالتواصل الذاتي.

وفسر ابن المقفع (توفي 131هـ)،البلاغة تفسيرا لم يفسره غيره – على حد رأي العسكري»-إذ قال: البلاغة اسم لمعان تجري في وجوه كثيرة، منها ما يكون في السكوت، ومنها ما يكون في الاستماع (....)ومنها ما يكون خطبا)[2]وفي هذا القول تركيز على السامع والمتكلم معا، لأنهما يمثلان طرفي التواصل.

ويركز السكاكي في تعريفه للبلاغة على شرط حسن التركيب حتى تقوم عملية التواصل على أسس صحيحة، فالبلاغة عنده «هي بلوغ المتكلم في تأدية المعاني حدا له اختصاص بتوفيه خواص التراكيب حقها.»[3]

وذلك حتى يتمكن السامع من فهم الرسالة المنقولة إليه، بشرط أن يتساوى مع مخاطبه في درجة الفهم أو أن يخاطبه بحسب قدراته الذهنية ومكانته.

أما سيبويه(توفي 180هـ)، فنستخلص -من خلال تقسيمه للكلام من حيث الاستقامة-تركيزه على وصول المعنى إلى المتلقي، حيث قسم الكلام إلى، حسن، ومحال، ومستقيم كذب، ومستقيم قبيح، ومحال كذب، وفصل في ذلك قائلا:

- «فأما المستقيم الحسن فقولك :أتيتك أمس، وسآتيك غدا
- وأما المحال فأن تنقض أول كلامك بآخره، فتقول :أتيتك غدا، وسآتيك أمس
- وأما المستقيم الكذب فقولك: حملت الجبل، وشربت ماء البحر ونحوه

[1] أبو هلال العسكري -الصناعتين -ص 19.
[2] نفسه ص23
[3] أبو يعقوب السكاكي – مفتاح العلوم -ص 415.

- وأما المستقيم القبيح، فأن تضع اللفظ في غير موضعه، نحو قولك قد زيدا رأيت، وكي زيد يأتيك، وأشباه هذا
- وأما المحال الكذب فأن تقول :سوف أشرب ماء البحر أمس)[1]

وهنا نلاحظ أن سيبويه، قد ركز على استقامة الكلام حتى يصل الملقي إلى ذهن المتلقي فالمستقيم الحسن هو الذي يفهم بطريقة بسيطة جلية من خلال حسن اللفظ، واستقامة المعنى، كما أن المستقيم الكذب مستساغ كذلك من حيث حمله على المجاز أما المستقيم القبيح، فإن السامع يصعب عليه فهمه، لأن الألفاظ في غير موضعها، وأما المحال الكذب، والمحال، فقد ينقطع فيهما التواصل لعدم استقامة الكلم وهنا يبدو لنا اهتمام النحاة أيضا بالتواصل، لأن الغاية من اللغة هي إفهام السامع من خلال التعابير المستقيمة.

كما يظهر مفهوم التواصل في التراث العربي من خلال الإبانة عن المعاني، حيث يقول الجاحظ»:والبيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى، وهتك الحجاب دون الضمير، حتى يفضي السامع إلى حقيقته، ويهجم على محصوله كائنا ما كان ذلك البيان، ومن أيجنس كان الدليل، لأن مدار الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسامع إنما هو الفهم والإفهام، فب أيشيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى، فذلك هو البيان في ذلك الموضع)[2]

إن الجاحظ بكلامه عن البيان؛ الذي يقصد به الإبانة بأي طريقة كانت، يكون قد حدد خمسة عناصر للعملية التواصلية وهي (المتكلم/السامع/الرسالة/القناة/الشفرة) فالرسالة تصل من متكلم إلى سامع، وغاية الكل منهما الفهم والإفهام عن طريق اللغة، وأما الشفرة فهي (كشف قناع المعنى وهتك الحجاب).

بل إن الجاحظ أخرج التواصل من دائرته الضيقة التي تعتمد على المنطوق فقط، فجعل« جميع أصناف الدلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ خمسة أشياء، لا تنقص ولا تزيد، أولها اللفظ ثم الإشارة، ثم العقد، ثم الخط، ثم الحال التي تسمى نصبة)[3]

---

[1] سيبويه – الكتاب –ج ،1ص 25-26.
[2] الجاحظ – البيان والتبيين –ص 76.
[3] نفسه ج1، ص76

فالتواصل – حسب رأي الجاحظ-لا يكون بالمنطوق فقط، بل يكون بالكتابة أيضا إذا كان المخاطب متعلما وهو الذي أطلق عليه(الخط)، أو يكون بالإشارة والإماءة، وقد يكون بالعقد أو الحال الناطقة بالدلالة التي سماها(النصبة)وهي الناتجة عن التأمل والتفكّر.

وليس رأي صاحب البيان والتبيين ببعيد عن تقسيم ابن وهب، الذي يرى « أن البيان على أربعة أوجه، فمنه بيان الأشياء بذواتها وإن لم تبن بلغاتها، ومنه البيان الذي يحصل في القلب عند إعمال الفكر والنُّب، ومنه البيان باللسان ومنه البيان بالكتاب وهو الذي يبلّغ من بعد وغاب)[1]

فإذا قارنّا هذا التقسيم الذي وضعه صاحب البرهان، لوجدنا« أن هذا العالم العربي الذي ألّف كتابه بعد عام 335هـ قد وضع لعلماء الاتصال تصنيفا علميا، قبل أن يضع رويشRuesch وبيتسونBateson تصنيفهما الرباعي، والذي يتفق إلى حد كبير مع تصنيف صاحب البرهان، حيث يذهبان إلى تقسيم الاتصال إلى أربعة أقسام)[2] وهي:التواصل الذاتي، التواصل الشخصي، التواصل الاجتماعي، والتواصل الثقافي.

وهكذا اتضحت لنا رؤية العلماء العرب للتواصل، وكيف نظروا له من خلال اللغة باعتبارها(قناةً للتواصل).

كما لم يغفلوا العناصر الأخرى، وهي(:الرسالة)والمتمثلة في الخبر المنقول بين (متكلم وسامع)، ويكون ذلك في سياق معين والذي سمته العرب (المقام)أو(مقتضى الحال) وفي ذلك يقول السكاكي»: لا يخفى عليك أن مقامات الكلام متفاوتة فمقام التشكر يباين مقام الشكاية، ومقام التهنئة يباين مقام التعزية (....)و ارتفاع شأن الكلام من باب الحسن والقبول وانحطاطه في ذلك بحسب مصادفة الكلام لما يليق به وهو ما نسميه مقتضى الحال)[3] .

كما لم ينسوا (الشفرة)التي بها يضمن المتكلم وصول خبره سليما إلى سامعه، بل يضمن فهم السامع له، ولا يكون ذلك إلاّ إذا كانت هناك شفرة يتعارف عليها الطرفان لضمان وصول الإرسالية، فاللغة عندهم « عبارة عما يتواضع عليه القوم من الكلام[4]»

---

[1] ابن وهب – البرهان في وجوه البيان –ص 56.

[2] عبد العزيز شرف –علم الإعلام اللغوي –ص 11.

[3] ال خفاجي –سر الفصاحة –ص 48.

[4] الخفاجي -سر الفصاحة-ص 48

ومنه نجد أن عناصر التواصل في التراث مكتملة، وهي ستة:

ملقي(متكلم)/متلقي (سامع)/رسالة (الخبر)/قناة (اللغة أو ما يقوم مقامها)/سياق (المقام أو مقتضى الحال)/الشفرة (المواضعة).

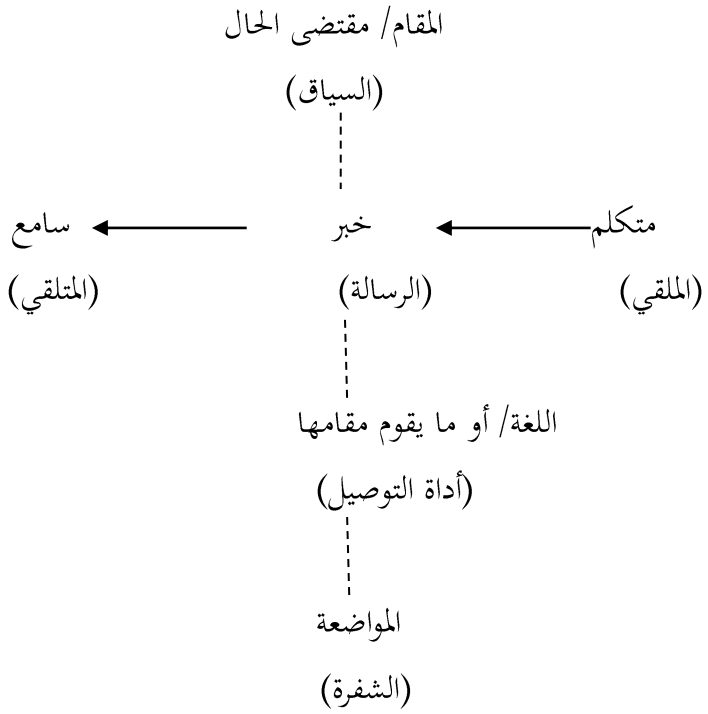

II.مفهوم التواصل(LaCommunication) عند المحدثين

حدد علماء العصر الحديث العملية التواصلية من خلال تحديد عناصرها بطريقة أكثر علمية، واعتمادها كذلك على العلم، فقد « قدم كلود شانون – وهو مهندس أمريكي كان يعمل في ميدان الاتصالات الهاتفية–خطاطة (...)تختصر من خلال خاناتها ونمط اشتغالها العملية التواصلية برمتها:

مصدر الخبر ⟵ الباث ⟵ الاشارة النهائية ⟵ المتلقي ⟵ الهدف

الارسالية الاشارة المبثوثة الارسالية "[1]

أما اللغويون، فقد وصفوا عملية التواصل من خلال تعريفهم للغة، إذ وصفها دوسوسير « بين (أ)و(ب)وهما يتبادلان حديثهما فيما بينهما على النحو التالي:

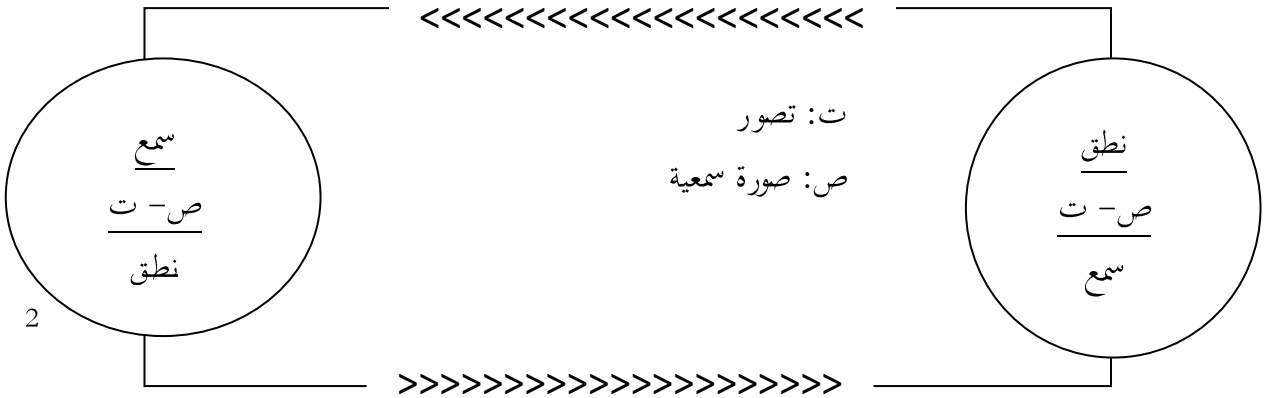

2

أما مارتينيه فيرى أن « إحدى وظائف اللغة، الاتصال وهي الوسيلة التي تسمح لمستعمليها الدخول في علاقات مع بعضهم بعض، وهي التي تضمن التفاهم المتبادل بينهم[3] »

يبدو من خلال كلام مارتينيه أن للغة عدة وظائف، لكن التواصل ربما–يعتبر من أهم وظائفها نظرا لإقامته علاقات متبادلة بين مستعملي اللغة.

[1]سعيد بنكراد –استراتيجيات التواصل– ص 08

[2]عبد الجليل مرتاض – اللغة والتواصل– ص 3.

[3]السابق ص 80

وقد قسم جاكبسون وظائف اللغة إلى ستة خانات و» كل خانة تشير إلى وظيفة معينة فالانفعال مرتبط بالمتكلم (الوظيفة الانفعالية)، أما المتلقي فقد يكون عرضة للزجر والأمر والنهي والتوجيه(الوظيفة الإفهامية)، أما الشعري فمثواه الإرسالية (الوظيفية الشعرية).

ويتحدد المرجع من خلال الإحالة على السياق (الوظيفة المرجعية) ويرتبط السنن باللغة الواصفة (الميتالغوية)، وقد لا تتجاوز الواقعة الإبلاغية، حدود الحفاظ على حالة من التواصل ، خلال التأكيد على أداة الاتصال (الوظيفة اللغوية)، وتلكم هي الوظائف الست، التي يشير إليها جاكبسون من خلال صياغته نموذجه التواصلي:

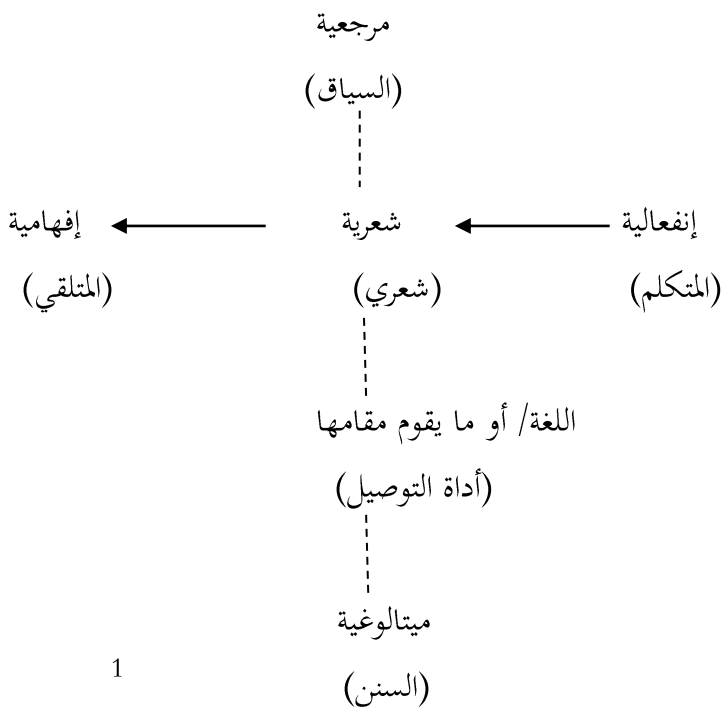

[1]

وهكذا يكون جاكبسون قد ألم بجميع العناصر التي تقوم عليها العملية التواصلية، مع تحديد الوظائف المنوطة بكل عنصر.

[1] سعيد بنكراد – استراتيجيات التواصل- ص.

(ويستعرض (لينش)الوظائف اللغوية من وجهة نظر وظيفية، عند عدد من الباحثين من خلال مستويات متنوعة ، انطلاقا من أن النظرية الوظيفية تعد اللغة شكلا اتصاليا، يعمل في أنظمة اجتماعية كبرى»[1]،هذا مما يوضح أن التواصل من بين أهم الوظائف التي تؤديها اللغة، إن لم يكن الوظيفة الأساسية له. ويتأكد ذلك من خلال حصر(بوبر)وظائف استعمال اللغة « في أربع وظائف مرتبة من الأدنى إلى الأعلى وهي:

1- الوظيفة التعبيرية (لتعبير الشخص عن حالاته الداخلية).
2- الوظيفة الإشارية (لتبليغ الشخص المعلومات المتعلقة بحالاته الداخلية إلى الآخرين).
3- الوظيفة الوصفية (لوصف الأشياء في المحيط الخارجي).
4- الوظيفة الحجاجية (لتقسيم الحجج وتبريرها.)[2]

ونمثل هذه الوظيفة كما يلي:

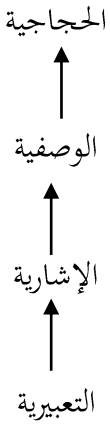

نلاحظ حسب الشكل السابق بأن المتكلم ينطلق أولاً من التعبير عما في نفسه، خلية وتوضيح حالاته الدالة(التعبيرية)، ومن ذلك فهو يبلغ شخصا ما معلومات تتعلق بهذه الحالة (الإشارية) أي أن ذلك يرتبط بما في المحيط الخارجي فيذهب واصفًا إياه (الوصفية)في إطار خارجي به يقنع مستمعه (الحجاجية)، وهكذا تكون اللغة عند بوبر، قد أدت الوظائف المنوطة بها.

[1] عبد الهادي بن ظافر الشهري – استراتيجيات الخطاب –ص 14.
[2] نفسه ص 14

وهكذا فقد حدد بوبر، بأن أساس اللغة التواصل بين أفراد المجتمع وهذا عن طريق (متكلم/سامع /رسالة /قناة).

كما يعرف (هنري سويت)اللغة بأنها « التعبير عن الفكر عن طريق الأصوات اللغوية)[1].

مما يستوجب وجود (متكلم/سامع/رسالة/قناة)، ويتضح ذلك أكثر في تعريف (سابير)للغة بأنها « وسيلة لتوصيل الأفكار والانفعالات والرغبات عن طريق نظام من الرموز التي يستخدمها الفرد باختياره)[2] وهو تقريبا ما نجده في تعر (يسبرسن)، إذ « تكمن روح اللغة في نوع من النشاط الإنساني، نشاط من جانب فرد يجد في إفهام نفسه لشخص آخر، ونشاط من جانب هذا الشخص الآخر بغرض فهم ما كان يجري في ذهن الشخص الأول)[3]

هنا يؤكد يسبرسن عن تبادل كُلٍ منهما الوظائف، الموضحة في الشكل التالي:

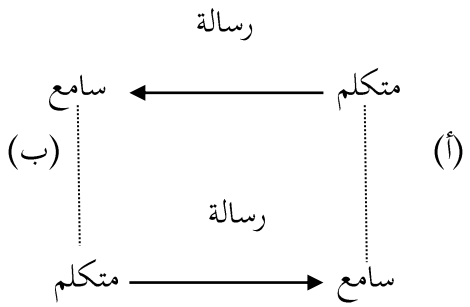

من خلال هذا الشكل يتضح لنا كيف يتحول المتكلم إلى سامع، والسامع إلى متكلم عن طريق تبادل المهام واتجاه الرسالة.

إن هذه التعريفات المختلفة للغة، تتفق جميعها على أن الوظيفة الأساسية لها هي الوظيفة التواصلية، ورغم ذلك فإنه من الصعب أن نعثر على تعريفات للتواصل تتفق في كل جوانبها مع رغبات الباحثين».فمعجم اللسانيات الذي أشرف عليه ج.دبوا J.dubois يقترح علينا تعريفين:

[1] عبد العزيز شرف – علم الإعلام اللغوي –ص 70.
[2] نف ص 70
[3] نف ص 70

1-التواصل ، تبادل كلامي بين المتكلم الذي ينتج ملفوظًا أو قولاً موجها نحو متكلم آخر interlocuteur يرغب في السماع أو إجابة واضحة أو ضمنية explicite ou implicite وذلك تبعا لنموذج الملفوظ الذي أصدره المتكلم .Le sujet parlant

2-التواصل حدث، نبأ ينتقل من نقطة إلى أخرى ونقل هذا النبأ يكون بواسطة مرسلة استقبلت عددا من الأشكال المكفوفة qu' a été codé[1]

في التعريفين السابقين نجد أن (ج.دبوا)ومن معه من الباحثين قد ركزوا جميعهم على العناصر السالفة الذكر في العملية التواصلية.

في حين نجد مفهوم التواصل في « المعجم الذي أشرف عليه (A.Moles denoél)نجد فيه أن التواصل هو عملية جعل فرد – أو مجموعة-متموضعة في عنصر من نقطة(س)يشارك في التجارب التي ينشطها محيط آخر متموضع في عهد آخر في نقطة (ص)من مكان آخر، مستعملا عناصر المعرفة المشتركة بينهما)[2].

وهنا يبدو أن صاحب المعجم ركز على التواصل بوجهيه المنطوق والمكتوب،خاصة إن كانت هذه المشاركة بين عهد ، كما جاء في التعريف.كما يبدو تركيزه على الشفرة واضح جدا من خلال استعمال عناصر المعرفة المشتركة بين متبادلي الكلام.

ويرى (جرولد كاتز)في حديثه عن التواصل اللغوي أنه « مسار يكون المعنى الذي يقرن به المتكلم الأصوات، هو نفس المعنى الذي يقرن به المستمع الأصوات نفسها، فقد يكون من الضروري أن نستخلص من ذلك أن متكلمي لغة طبيعية معينة يتواصلون فيما بينهم في لغتهم لأن كلاْ منهم يمتلك بصورة أساسية تنظيم القواعد نفسه، ويتم التواصل لأن المتكلم يرسل مرسلة عبر استعمال نفس القواعد اللغوية التي يستعملها المستمع إل لكي يلتقطها)[3]

[1] عبد الجليل مرتاض – اللغة والتواصل –ص 78.
[2] نفسه ص 79.
[3] السابق ص 37.

يتضح من خلال كلام كاتز بأن التواصل لابد أن يتم عن طريق مواضعة يتعارف عليها طرفا التواصل(الملقي والمتلقي) وهو ما يسمى ب (الشفرة)، التي لولاها ما تمت العملية التواصلية، ومنه فإن التواصل يقوم على عناصر أساسية هي (متكلم/سامع /رسالة /قناة /شفرة)إضافة إلى السياق الذي تكون فيه الرسالة.

وخلاصة وظيفة التواصل ما يلاحظه(بينيت)إذ يرى « أن وظيفة التواصل تتمثل أساسا في سعي المتكلم إلى إبلاغ المتلقي بأمر ما، أو إلى نسبة عمل ما إليه)[1]

وهكذا، فالإنسان هو أساس العملية التواصلية، إذ قد يكون متكلما أو سامعا بينه وبين فرد آخر أو جماعة أو قد يكون تواصله عن طريق الكتاب أو الجريدة، وهو ما يسمى بالتواصل الثقافي أو كما سماه ابن وهب « البيان بالكتاب «، وهو في « مشاركة لهذه العمليات الاتصالية يقوم بعمليات اتصال ذاتية يناقش بينه وبين نفسه عددا من الأفكار والموضوعات)[2]

وحرياْ بنا هنا أن نتساءل عن أهمية الاتصال والتواصل بالنسبة للفرد والمجتمع إذ يمكننا أن نلخص هذه الفائدة في النقاط التالية:

1. يحدد التواصل دور الفرد داخل المجتمع، وبذلك يحس كل فرد بقيمته الاجتماعية فكل دور اجتماعي يفرض على صاحبه التواصل مع الآخرين.
2. يساعد الفرد على الاقتراب من غيره وإحساسه بالطمأنينة الناتجة عن التماسك الاجتماعي.
3. يفيد الفرد في اتخاذ قراراته من خلال معرفته بالقضايا و الموضوعات اليومية.
4. دعم انتماء الفرد إلى المجتمع، كونه يكتسب سمات و خصائص المجتمع الذي يعيش فيه.
5. وفر المعلومات الخاصة بالبيئة، مما ينعكس على دعم الاستقرار داخل المجتمع وخارجه.
6. يحقق الترابط بين الأفراد ويدعم التفاعل الاجتماعي.
7. يحقق الحفاظ على الهوية الثقافية للمجتمع.[3]
8. يولد الفهم عند الآخرين.فنحن-على رأي غرايس»-حين نتصل بالناس (...)نفلح في توليد فهم لديهم، يجعلهم يتعرفون على قصدنا في توليد ذلك الفهم[1]) .

---

[1] ج.ب براون -ج.بول – تحليل الخطاب -ص 02.

[2] محمد عبد الحميد – الاتصال في مجالات الإبداع الفني الجماهيري- ص 33.

[3] ينظر محمد عبد الحميد – الاتصال في مجالات الابداع الفني الجماهيري ص 20-21-22

الفصل الأول

التواصل الذاتي

المبحث الأول: مفهوم التواصل الذاتي.

المطلب الأول: مفهوم التواصل

المطلب الثاني: عناصره.

المبحث الثاني: وجوه التواصل الذاتي

المطلب الأول: الإعتبار

المطلب الثاني: الإعتقاد

المطلب الثالث: الصمت/الإنصات

---

[1] جون سيرل – العقل واللغة والمجتمع- ص 212

توطئة:

يعد التواصل من أهم وظائف اللغة إذ « الاتصال هو العملية الاجتماعية التي تتم حقيقين أعضاء الجماعة أو المجتمع لتبادل المعلومات والآراء والأفكار والمعاني لت أهداف معينة)1

فالإنسان يكون بذلك قد أودع في اللغة عالمه الخاص بكل صدق، فاللغة عبارة عن قدرات ذهنية تمكّن الإنسان من التواصل والتعامل والتفاعل مع محيطه ومجتمعه، ولكن قبل أن يحدث ذلك – أي تواصل المرء مع الآخرين- هل يحدث الإنسان نفسه؟ أو بالأحرى هل يحدث التواصل بين الإنسان وذاته؟

[1] أحمد محمد معتوق –الحصيلة اللغوية –ص 29.

I–مفهوم التواصل الذاتي وعناصره

أ /مفهومه:

من بين تعاريف اللغة: " أنها قدرة ذهنية مكتسبة يمثلها نسق من رموز اعتباطية منطوقة يتواصل بها أفراد المجتمع)1،فهي إذن قبل أن تكون منطوقة ويتواصل بها أفراد المجتمع، هي قدرة ذهنية، حيث يعتبر تعريف ابن جني من بين أدق تعريفات اللغة على الإطلاق، إذ « يشتمل (....)أربع قضايا جوهرية هي:الأصوات والوظيفة والطابع الاجتماعي للغة، والطابع النفسي)»2

وفي تركيزنا على الطابع النفسي نجد أن الإنسان لا يطلق أصواتاً يعبر بها عن أفكاره، إلاّ إذا أحدثها في نفسه أولاً، وبذلك قد تواصل مع نفسه، قبل أن يتواصل مع الآخرين، وكما يقول كيسلر«:إن التفكير ليس سوى الحركات اللاشعورية الصوتية، و أنه نوع من الهمس غير المسموع الذي يدور بين المرء ونفسه)3،فالإنسان في تفكيره، بل حتى في تواصله مع الآخرين، أو عندما يحدث نفسه، يكون قد أحدث اتصالاً ذاتيا، هو المتكلم فيه والسامع في آن واحد، ولفهم الاتصال الذاتي أكثر نستطيع الاستفادة من نموذج (بارلند) الذي يوضحه في الشكل التالي:

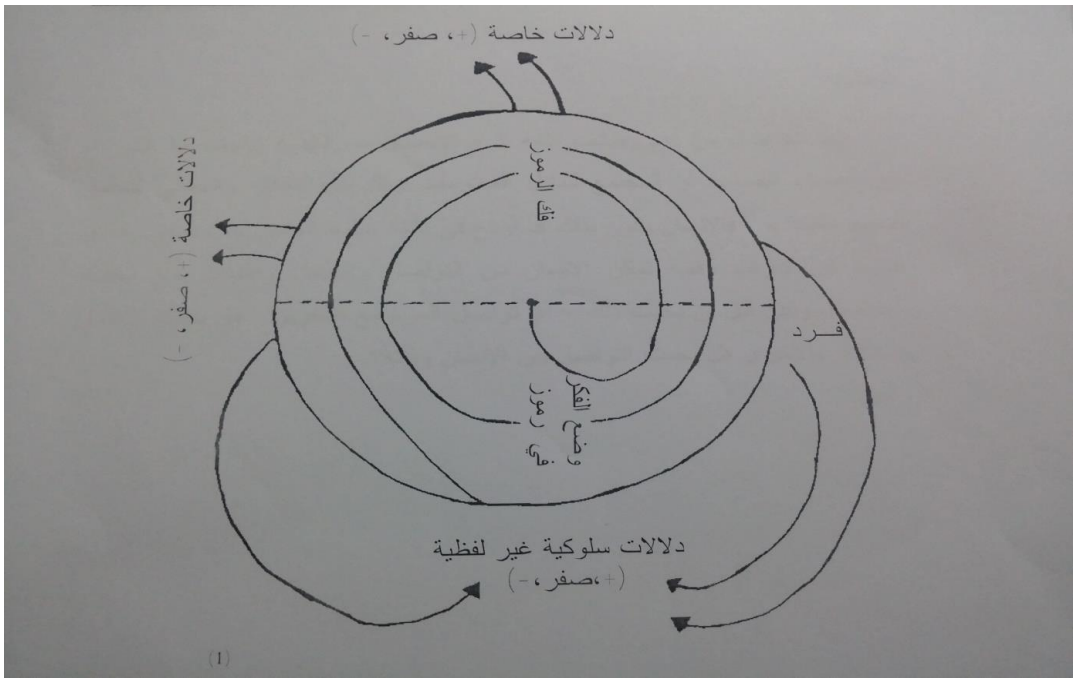

4

[1]عمر مهيل – إشكالية التواصل في الفلسفة الغربية المعاصرة –ص 31.

[2]محمد بوعمامة – اللغة والفكر والمعنى –ص 237.

[3]أحمد محمد معتوق – الحصيلة اللغوية –ص 31.

[4]عبد العزيز شرف – علم الإعلام اللغوي –ص 16.

ويتضح في هذا الشكل النظام التواصل الذي يبدأ من فك الرموز عن طريق الاستجابة للدلالات المادية والسيكولوجية عند الآخرين، ليحدث بذ اتصالاً ذاتيا بين الفرد وذاته عن طريق هذه الاستجابة، وقد يكون ذلك عن طريق إدراك الذات، « ونشير فقط إلى أن إدراك الذات يتم على أساس تصور وجود الغير)[1] ،وهذا الإدراك يولّد في نفس المرء صراعا بين « القيم الاجتماعية والأخلاقية والثقافية والفلسفية (...)من جهة، وبين الرغبات والميول والأحاسيس والغرا (...)من جهة أخرى،

إن الحديث في هذا الإطار يتمحور حول الصراع بين (الأنا الأعلى) الذي يشكل الطرف الأول من الحوار الداخلي و(الهو)الذي يشكل الطرف الثاني –على حد التعبير الفرويدي–وكل هذا النشاط يتحول – حسب باختين–إلى جدال بين متكلم خفي ومخاطب خفي أيضا[2]»، وهذا الجدال الذي يحدث داخل النفس ، ما هو إلاّ حوار داخلي(مونولوج) أو حديثٌ نفسي، يتم من خلال الحالات النفسية التي تنتاب الإنسان، كالقلق والتشاؤم والتفاؤل، وغير ذلك من هذه الحالات فالمونولوج إذن هو « حوار تستعمل فيه العديد من تقنيات الحوار العادي (...)فهو –كما يقول باختين– يصاغ على شكل حوار، وما أدلّ على ذلك من القلق الذي يصيب الشخص حينما يهم باتخاذ قرار خطير في حياته، إذ تسيطر عل الحيرة[3]»

فالاتصال الذاتي من خلال ما سبق « هو عملية تتفاعل وتأخذ مكانها داخل المرء، فهي إذن عملية شخصية بحتة تتم فيها مخاطبة الإنسان لذاته[4]) وهذا الاتصال لا يكون مجرد اتصال عادي إنما يتأتى عن طريق الشعور والوعي والفكر والوجدان وعدد من العمليات النفسية الداخلية)[5] (التي تجعل المرء يحاور نفسه ويخاطبها.

ويتحسس إميل بنفينيست هذه العملية بقوله:(يتشكل الإنسان من حيث هو ذات فباللغة وباللغة، إذ هي وحدها تؤسس في حقيقة الأمر مفهوم (الأنا)ضمن واقعها الذي هو واقع الوجود)[6]

---

[1] عمر بلخير – تحليل الخطاب المسرحي –ص 59.

[2] السابق ص 59.

[3] نفسه ص 59.

[4] راشد علي عيسى – مهارات الاتصال –ص 42.

[5] ينظر عبد العزيز شرف – علم الإعلام اللغوي –ص 11.

[6] عمر مهيبل – إشكالية التواصل في الفلسفة الغربية المعاصرة –ص 31.

فالإنسان إذن يحدد ذاته في اللغة عن طريق اللغة ذاتها، ومن هنا يتأسس مفهوم (الأنا)ضمن واقع الوجود عند بنفينيست، ويضيف»:إن الذاتية التي نبحث فيها هي قدرة المتكلم على أن يطرح نفسه بوصفه (ذاتا)، وهي تعرف لا بوساطة الشعور الذي يعيشه كل واحد منا بأنه هو نفسه، بل تعرف باعتبارها الوحدة النفسية التي تتعالى على كلية التجارب المعيشة، التي تجمعها هذه الوحدة النفسية وتضمن دواعي الوعي)[1]

وهنا يطرح بنفينيست إشكالية جديدة، وهي أن قدرة المـ تكلم تظهر أولاً في ذاتيته، عند بنفينيست ينطلق من الحوار الداخلي وهو يتحسس ذاته قبل أن يصدر ما يفكّر فيه في شكل أصوات إلى ساحة الشعور.

وبذلك يمكننا أن نقول بأن المتكلم (أ)، يحاور ذاته عبر عملية الحوار الداخلي التي تسلك مسار ،(م)الذي يكون بداية الحوار، و(م)الذي يعبر عن الردأو الاستجابة سواء أكانت إيجابية أم سلبية، ويكون ذلك على النحو التالي:

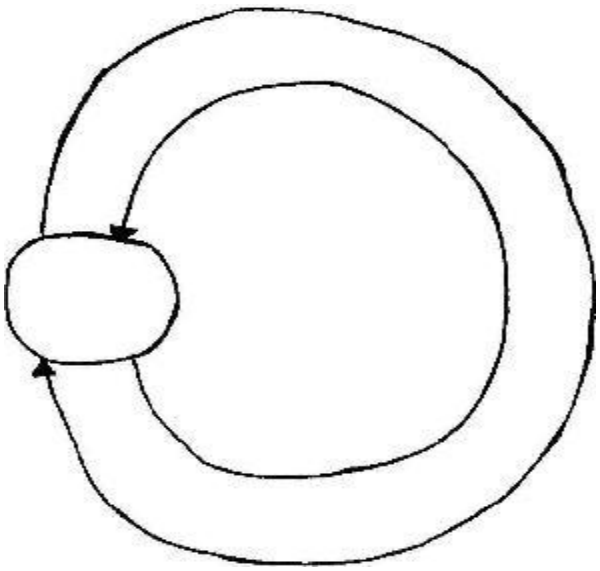

رسم يوضح عملية الحوار الداخلي

[1] السابق ص31

ب/عناصره:

ليس الحوار الداخلي ببعيد عن الخارجي، فإذا كان الثاني يستوجب طرفين (مخاطب/مخاطَب)مختلفين، فإن الأول يستوجب كذلك الطرفين نفسهما، لكن لا يكونا خارجيين، فالإنسان يشكل في ذاته داخليا الطرفين مع « ذلك أن الإنسان يفعل كلاما خفيا في داخل صدره، ويقطعه بالنفس فيكون كلا بالحقيقة وإن كان غير مسموع ثم إن أحدنا قد يحدث نفسه بنسيج ثوب أو بناء دار،[1])، وهكذا نكون قد أقمنا التواصل بجميع عناصره في نفوسنا، وهذا التواصل هو عبارة عن استجابة للواقع الذي حددنا له موقعا في أنفسنا فحينما « يلجأ الإنسان إلى إجراء حوار داخل نفسه، يكون قد أقام جسور التواصل في ذاته، باعتبار ذلك صورة من التواصل على أرض الواقع[2])، وفي هذا النوع من التواصل نجد أن الإنسان يقيم التواصل بين متكلم وسامع في نفسه إذ يكون المتكلم طرفا فيه من جانب، وأطرافه كلها من جانب آخر, فنحن طرف من حيث أن هذا الحوار يكون بيننا وبين غيرنا على أساس أننا نخاطب الآخر، وإن كان في داخلنا، ونعتبر أيضا أطرافا كلها لأن هذا الحوار يقام في داخلنا.

ومنه فالإنسان يقيم الحوار في نفسه داخليا، قبل أن يصدر منه في أصوات مسموعة، حيث أن « الصوت المسموع طريق إلى إثبات الكلام القائم في النفس)[3]

فالإنسان لا يتكلم في قضية مثبتا أو نافيا أو غير ذلك، حتَّى يقيمها في نفسه أولاً ويناقشها، ويختار اللفظ المعبر عنها، وبذلك فإن كل صوت هو نتيجة لكلام في النفس.

يقول الخفاجي« ليس يخلو من أن يكون طريقًا إليه، يعلم عنده أو يستدل به عليه، فإن كان الأول وجب أن يعلم كل من سمع الكلام الذي هو الصوت الواقع على بعض الوجوه شيئا آخر عنده، ومعلوم خلاف ذلك، وإن كان يستدل به عليه فالكلام المسموع إنما يدل على ما لولاه لما حدث هو القدرة-أو ما لولاه لم يقع على بعض الوجوه، وهو العلم والإرادة)[4] فالصوت المسموع عند ابن سنان ما هو إلاَّ صدى لما يقع في النفس من أفكار، ومن خلاله يعلم، أو يستدل به عليه، فإن استدل به فإنه يدل على قدرة المتكلم أو يدل على العلم والإرادة.

---

[1] ابن سنان الخفاجي – سر الفصاحة –ص 41.

[2] سمير شريف استيتية – اللسانيات التواصلية والمجتمع –ص 09.

[3] بن سنان الخفاجي –سر الفصاحة –ص 41.

[4] بن سنان الخفاجي –سر الفصاحة –ص 41.

ويمكن أن نختصر هذا القول في المخطط التالي:

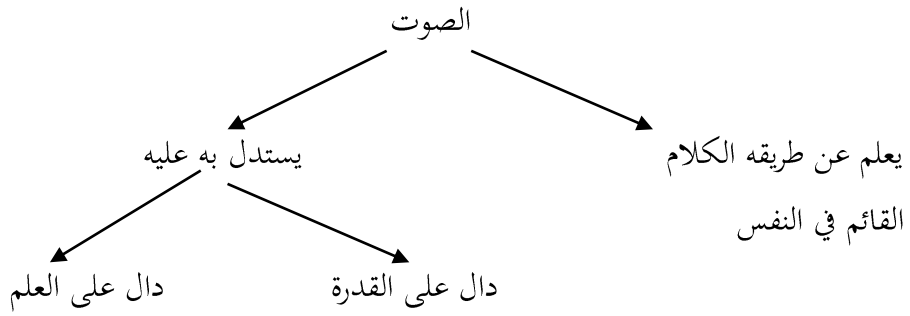

فإذا كان الإنسان يقيم التواصل مع نفسه فهو حينئذ(متكلم/وسامع)وذلك على اعتبار وجود سامع افتراضي، يكون هو ذاته المتكلم أو في نفس المتكلم وهناك موضوع يناقشه.

يمثل الرسالة، في حين أن الشفرة هنا تكون واضحة على أساس أن المتكلم هو نفسه السامع، ومنه فالتواصل الذاتي يقوم على عناصر أربعة هي:(متكلم/سامع/رسالة/شفرة).ومن خلال ما سبق يتضح أن الإنسان يقوم في نفسه بعدة عمليات نفسية تتمثل– في كثير من الأحيان– في التفكر والتأمل.

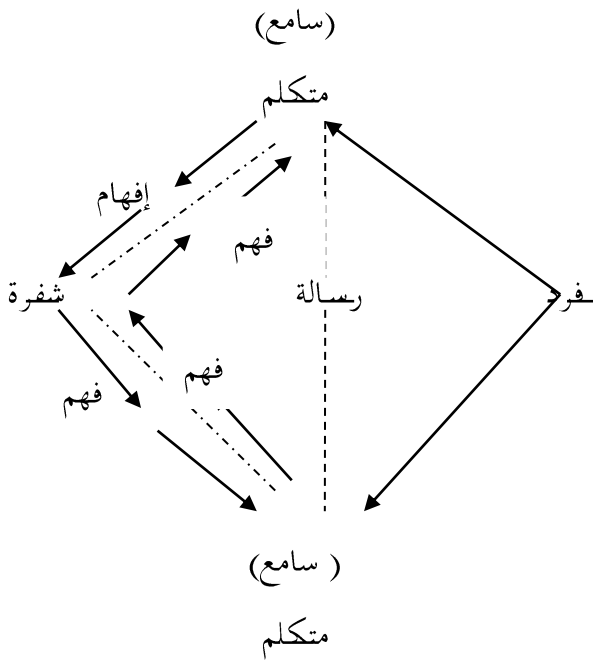

II –وجوهه

أ –الاعتبار*

يعتبر الاعتبار من أهم مستويات التواصل الذاتي، وهو الذي تبين فيه الأشياء « لمن تبين، وتعبر بمعانيها لمن اعتبر[1])وذلك لمن طلب الاعتبار مما يرى من خلق الله جل وعلا، ف « الأشياء تبين للناظر المتوسم، والعاقل المتبين بذواتها، وبعجيب تركيب الله فيها وآثار صفته في ظاهرها، كما قال تعالى﴿وَلَقَدتَّرَكۡنَامِنۡهَآءَايَةَۢبَيِّنَةٗلِّقَوۡمٖيعقلون ﴾**[2]

والاعتبار عند ابن وهب إما ظاهر، وإما باطن، إذ يقول»:إن الظاهر من ذلك ما أدرك بالحس كتبيننا حرارة النار وبرودة الثلج على الملاقاة بهما، أو ما أدرك بنظرة العقل التي تتساوي العقول فيها مثل تبيننا أن الزوج خلاف الفرد، وأن الكل أكثر من الجزء، والباطن ما غاب عن الحسي ، واختلفت العقول في إثباته فالظاهر مستغنٍ بظهوره عن الاستدلال عليه والاحتجاج له، لأنه لا خلاف فيه، والباطن هو المحتاج إلى أن يستدل عليه بضروب الاستدلال، ويعتبر بوجوه المقاييس والأشكال)[3]

ويذهب المحدثون إلى ما ذهب إليه صاحب البرهان ومنهم (بروكز)و(ويزمان) حيث ذهبا إلى « أن الكائن الحي يتأثر بمنبهات داخلية سيكولوجية، وفزيولوجية ومنبهات خارجية موجودة في محيطه، يتلقاها الفرد في شكل نبضات عصبية تنتقل إلى العقل الذي ينتقي منها، ويفكّر فيها، ويتخذ قراره وفقا لعملية تمييز تليها عملية إعادة تجميع للتنبيهات التي تم اختيارها في مرحلة التمييز، ثم تركيب تلك المنبهات في شكل خاص له معنى عند الفرد القائم بالاتصال)[4]

وهكذا فإن الاعتبار يكون عن طريق تأثر الفرد بمنبهات داخلية نفس، وأخرى خارجية من محيطه، ليصل بها إلى مرحلة التفكير والتفكّر والتدبر، ولا يصل إلى المعاني. إلاّ بعد عدة عمليات سريعة كالتمييز، وتجميع تلك المنبهات وترتيبها في شكل يوصله إلى المعنى.

---

[1] ابن وهب – البرهان –ص 65.

[2] عبد العزيز شرف – علم الإعلام اللغوي –ص 11.

[3] البرهان ص 65.

*وهو النصبة عند الجاحظ

**العنكبوت 35

[4] عبد العزيز شرف –علم الإعلام اللغوي –ص 13.

ثم يذهب ابن وهب إلى أن هذه العملية تتم عبر طرق هي:

1- القيـاس:وهـو نتيجـة لمقدمـة أو مقـدمات، وكـأني بابـن وهـب هنـا يوظـف المنطـق الأرسـطي ، بوصوله إلى نتائج عن طريق مقدمات:

-كل حي حساس متحرك -مقدمة كبرى

-الإنسان حساس متحرك -مقدمة صغرى

— —

-الإنسان حي — نتيجة

ويسـتلزم القيـاس الوصـول إلى أشـياء قطعيـة تكـون نتيجـة لتلـك المقـدمات، كمـا هـو ممثـل في القضية السابقة، ونتائج القياس ثلاث هي:

أ -البرهان :وهو الصادر عن مسلمة لا خلاف فيها.

ب -الإقناع :وهو الصادر عن قول مشهور فيه اختلاف، يحتاج إلى إقناع.

ج -الباطل :وهو الصادر عن قول كاذب[1]

وما يدل على الأشياء أربعة حسب ابن وهب وهي:

-المشاكلة :وهي التشبيه، والتمثيل،

بالمضـادة:إذ الضـد يعـرف بالضـد—كمـا تقـول العـرب»-فإننـا إذا عرفنـا الحيـاة، وعلمنـا أنهـا بالحـس والحركة، عرا ضدها الذي هو الموت وأنه بعد الحس و الحركة[2]

ج-العـرض:ويقصـد بـه الهيئـة، أي هيئـة الشـيء في شـكله، وطولـه وارتفاعـه وغـير ذلـك ممـا يحـدد ملامحـه ويوصـف بـه)[3]بمعـنى إعطـاء الأوصـاف جميعهـا للشـيء المـراد توضيحه أو المتكلِّم عنه.

د-الفعـل:كدلالـة الشـيء علـى فعلـه، فبـاب الخشـب يـدل علـى وجـود فعـل النجـارة والـزرع دال علـى وجـود الزراعـة، وغـير ذلـك مـن الأشـياء الدالـة علـى أفعالهـا. وكمـا تقـول العـرب (الأثـر يـدل علـى المسير).

[1] ابن وهب – البرهان –ص 68.

[2] السابق ص 71

[3] ينظر بالقاسم حمام – آليات التواصل في الخطاب القرآني82. -

2\الخبر:وهو الوسيلة الثانية التي يحصل بها العلم، فإذا كانت أوجه النشاط في التواصل الذاتي تتفاعل متأثرة بوجهة نظر القائم بالاتصال في الحياة، فهي تتوسل بالخبر كما، وحجة ابن وهب في ذلك قوله تعالى(4تتوسل بالقياس[1] وحجة ابن وهب في قوله تعالى(فسئلوا أهل الذكر ان كنتم لاتعلمون).

وفي الخبر يعتمد الإنسان على صحة ما ينقل من كلام العلماء والفقهاء وغيرهم، ممن يوثق بهم، وذلك مما لا سبيل للعقل فيه.والخبر قسمان،

أ–اليقين:وهو الذي نتحقق من صحته في ذاته، وصحة نسبته إلى صاحبه وهو «سكون النفس، وثلج الصدر بما علم (...)واليقين ما يزيل الشك دون غيره من أضداد العلوم)[2] ثلاثة أقسام:

–الخبر المتواتر، الذي تنقله جماعات متباينة، جماعة عن جماعة فلا يتواطؤوا فيه، فالله جلَّ ذكره ألزمنا بالإيمان بحجج الأنبياء والرسل، ومعجزاتهم، رغم أننا لم نشاهدهم أو نعايشهم وذلك لتواتر أخبارهم .

–خبر الأنبياء والرسل ومن كان في زمرة الأئمة.

– الأخبار المتواترة عن الخاصة كالعلماء مثلا)[3]

واليقين عموما هو ما تعترف العقول بصحته والإقرار به.

ب–التصديق:وهو الخبر المعلوم من جهة الآحاد، ولم تتواتره الألسن، وهو ما تقتنعبه النفوس.

[1] ينظر عبد العزيز شرف – علم الإعلام اللغوي –ص 15.

[2] أبو هلال العسكري – الفروق في اللغة –ص 73.

[3] ينظر عبد العزيز شرف – علم الإعلام اللغوي –ص 15.

3/ الظـــن:«وقـد يسـتنبط باطـن الأشـياء بوجـه ثالـث، وهـو الظـن والتخمـين وذلـك فيمـا لا يوصـل إليـه بالقيـاس ولا يتـأتى فيـه خـبر[1]»(والظـن حـق وباطـل:فـالحق مـا وصـلنا بـه إلى نتيجـة بعـد طـول تخمين وتفكير و روية.

وهـذه الوسـائل الـثلاث (اليقـين/التصـديق/الظـن)لا يمكـن أن تتجـاوز إحـداهما الأخـرى إلاّ إذا فقـدت، ويؤكـد ذلـك ابـن وهـب بقولـه »:وطلبـوا في الأشـياء اليقـين، فـإن وجـدوه تركـوا غـيره، فـإذا عـدموه طلبـوا الإقنـاع الـذي بـه التصـديق، فـإن وجـدوه أخـذوا بـه، وإن لم يجـدوه أعملـوا الظـن)[2] حـتى يصـل الإنسان إلى ما يحتاج إليه. وفيما يلي مخطط يختصر الاعتبار عند ابن وهب:

[1] نفسه ص 15.

[2] ابن وهب –البرهان– ص84

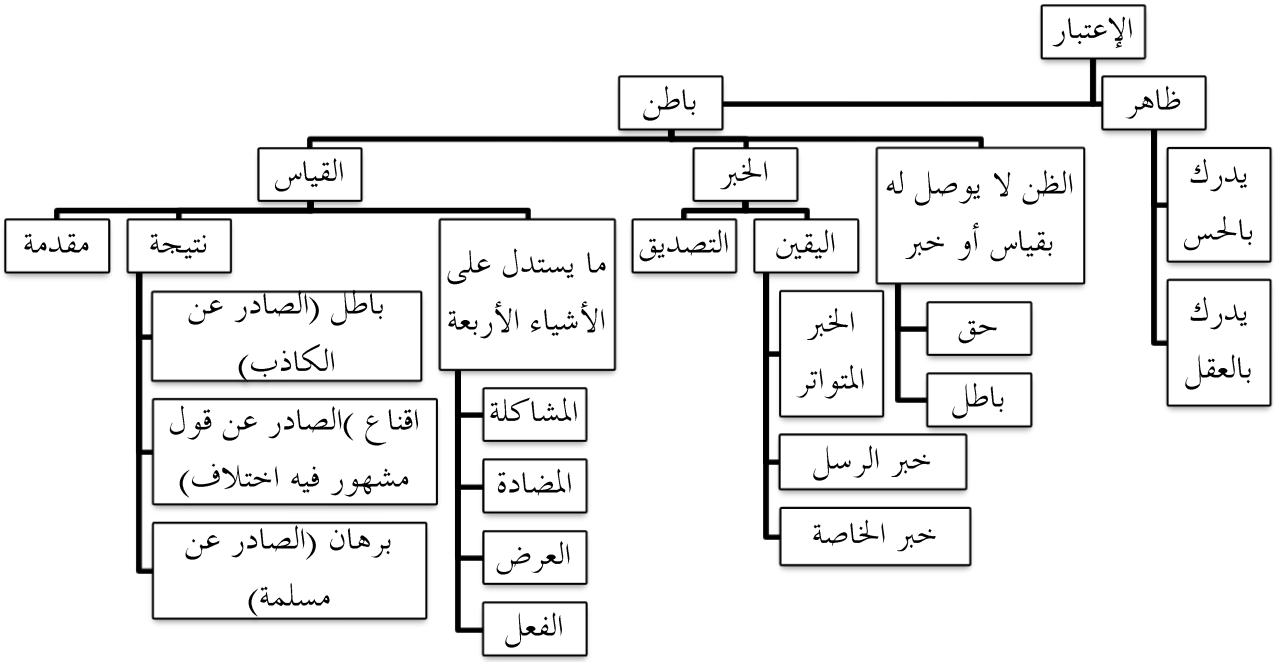
الإعتبار
ظاهر
باطن
يدرك بالحس
يدرك بالعقل
الظن لا يوصل له بقياس أو خبر
حق
باطل
الخبر
اليقين
التصديق
الخبر المتواتر
خبر الرسل
خبر الخاصة
القياس
ما يستدل على الأشياء الأربعة
المشاكلة
المضادة
العرض
الفعل
مقدمة
نتيجة
باطل (الصادر عن الكاذب)
اقناع)الصادر عن قول مشهور فيه اختلاف)
برهان (الصادر عن مسلمة)

من خلال ما سبق، يتبين لنا أن ابن وهب قد ركز في عنصر الاعتبار، على الباطن، الذي يتم فيه التواصل الذاتي من خلال العمليات النفسية ، التي تتم في ذات الفرد، فيكون متكلما وسامعا، مصدقاً ورافضا، مقنعا ومقنعا ...إلخ في آن معا، وعلى سبيل تصور مخاطبه الآخر، في حين نجد أن الجاحظ، فيما سماه بالنصبة، لم يهمل الظاهر كذلك الذي يدرك بالحس أو العقل، وإنما انطلق منه للباطن، وهو يورد قول أحد الخطباء حين

وقوفه على سرير الاسكندر، وهو ميت، اذ قال: الاسكندر كان أمس انطق منه اليوم، وهو اليوم أوعظ منه أمس[1]

[1] الجاحظ -البيان والتبين1/81. -

ب –الاعتقاد

رأينا أن الاعتبار هو بيان الأشياء بذواتها، لمن اعتبر بها، « فإذا حصل هذا البيان للمتفكّر، صار عالما بمعاني الأشياء، وكان ما يعتقد من ذلك بيانا ثانيا غير ذلك البيان، وخص باسم الاعتقاد)[1]

فالاعتقاد إذن مرتبط ارتباطًا وثيقًا بعنصر الاعتبار، إذ « يشكل مع بيان الاعتبار ما يحدث في عقل المرسل والمستقبل)[2]

ومنه فالتواصل الذاتي يضم وجهين من أوجه البيان عند ابن وهب، فإذا بينت الأشياء بذواتها للعقل الإنساني، فقد صارت علما بالنسبة إليه، لذ قسم ابن وهب هذا البيان إلى ثلاثة أضرب، فمنه « حق، لا شبهة فيه، ومنه علم مشتبه يحتاج إلى تقوية بالاحتجاج فيه، ومنه باطل لا شك فيه)[3]

ويوافق المحدثون ما جاء به صاحب البرهان، حيث يرون بأن التواصل الذاتي يتضمن الأنماط التي تتشكل في ذات الفرد ويطورها في عملية الإدراك، أي عن طريق الملاحظة والتقويم، وإضفاء معنى على الأفكار والأشياء الخارجية [4].

وهكذا فإن الإنسان عبارة عن نظام اتصالي، يفك عدة رموز في مجال الإدراك، وذلك بتحويل الأشياء التي يميزها في عالمه الخارجي إلى دلالات تظهر لغيره.

وتحمل أضرب بيان والاعتقاد في:

أ–حق لا شبهة فيه/يقين:وطريقته العقل، وذلك عن طريق مقدمات قطعية، مثل: الكل أكبر من الجزء والكل ضعف النصف، أو مقدمات ظاهرة على وجه الإنسان،

وجرت المواضعة فيها على دلالتها، كما ورد في حديث أبي بكر، حين عهد (رضي الله عنهما)بالخلافة، قال:(كلكم ورم أنفه أي اغتاظ، لأن المغتاظ يرم أنفه ويحمر، فقد عبر أصدق تعبير

---

[1] عبد العزيز شرف –علم الإعلام اللغوي –ص 12.

[2] نفسه ص 16

[3] نفسه ص 16

[4] ينظر نفسه ص12

وأكثره لبا ، عما أصاب الحاضرين من حسد وغيره، عن طريق ما علت أنوفهم من احمرار، (...)وهي لفظة إشارية تحكي الواقع بصدق ويقين)1 ومن ذلك أيضا احمرار الوجه عند الخجل وبياض الشفتين دليل العطش، وهذا كله تواضع من الملاحظة، أو مقدمات المرض، أي الحالات الدالة على مرض عضوي

معين، ككثرة العطس دليل على بداية الزكام، وإما المسلمات التي لا تحتاج إلى حجة أو برهان، و إما الخبر المتواتر من الخاصة أو الأنبياء والرسل، كوحدانية الله عز وجل وربوبيته، « وكل هذا يوجب العلم)[2]والحجة القائمة في ذلك هي البرهان.

ب-ما يشتبه فيه:وهو ما يحتاج إلى التثبيت والاحتجاج، وطريقته خبر الآحاد، وهو الذي ينفرد به شخص واحد دون غيره ولم تظهر فيه مقدمات قطعية، توجب العلم به، وقد تكون طريقته الظن فيما لا يتقبله العقل للوهلة الأولى، إنما يستحسن الاستدلال عليه وإقامة الحجة له، « وكل ظنا قويت شواهده، وكان الاحتياط في الرأي والدين تغلبه، وكل هذه الأمور التي عددناها، فإنما يأتي العلم بها على التصديق لا على اليقين والحجة على معنى الإقناع، لا البرهان وهي توجب العمل ولا توجب العلم)[3] وذلك كذكر بطولات السابقين وما أقاموا من عدل بينهم، فهذا يوجب العمل من باب الإئتساء بهم.

ج-باطل:وهو الذي يرد بلا شبهة، وطريقته تكون المقدمات الكاذبة التي تنبئ منذ البداية عن نتيجة باطلة، وقد تكون أخبار الكذابين الذين اشتهروا بهذه الصفة، فلا يؤخذ من كلامهم يقين، لذلك قالت العرب قديم (:ما بني على باطل فهو باطل)، وهذا ما يستلزم الرد والرفض.

---

[1] محمد كشاش-اللغة والحواس- ص21

[2] عبد العزيز شرف –علم الاعلام اللغوي- ص17

[3] نفس ص 18

ويمكن مما سبق أن نوضح عنصر الاعتقاد في المخطط التالي:

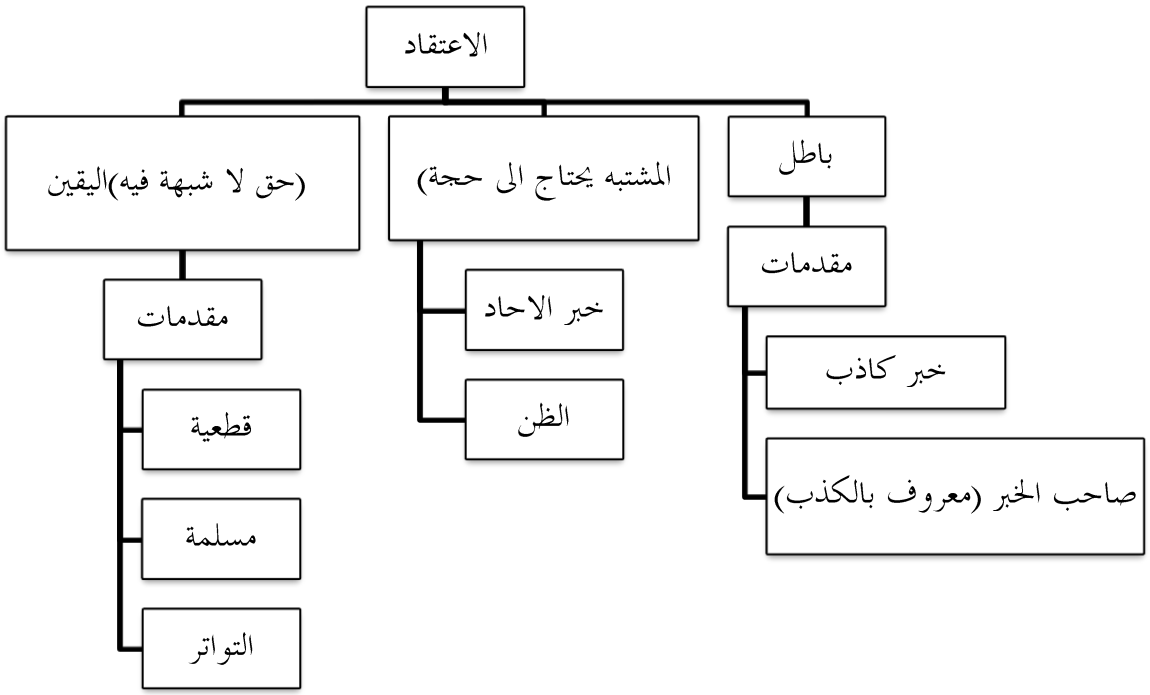

البرهان الإقناع

يستلزم العلم يستلزم العمل يستلزم الرد

وهكذا يتضح أن الدلالات، تكون عامة متعارف عليها كالمسلمات مثلاً، أو خاصة، بل قد تكون لفظية أو غير لفظية، وأن وجهي البيان عند ابن وهب (الاعتبار/الاعتقاد) يعتبران وجهي التواصل الذاتي بالمصطلح الحديث، وهما يكشفان عن الطريقة التي يتصل بها الإنسان مع ذاته وينفرد بها وحده، كما يتضح من خلال ما سبق بأن نموذج الاتصال الذي قدمه بارلند يتفق مع ما جاء به ابن وهب (الاعتبار والاعتقاد)من حيث أهمية الدلالات المتنوعة التي تضع التأثيرات الداخلية والخارجية.

ج –الصمت /الإنصات:

لا نقصد بالصمت هنا الانقطاع عن الكلام بغير حاجة، بقدر ما نقصد به الإنصات وحسن الإصغاء للمتكلم، مما يفيد صاحبه في العملية التواصلية على التفكّر والتدبر، فإذا ما أراد السامع أن يصل إلى درجة العلم بالشيء، فعليه بحسن السمع والإصغاء، ف « أول العلم الصمت، والثاني الاستماع)[1](»على حد رأي الجاحظ، الذي قرن الصمت بالاستماع، ليدلل على فائدة الصمت حينما يكون بغرض الإصغاء، فالمستمع الصامت في أغلب الأحيان، إنما ينصت إلى محدثه ويجري عمليات تواصلية داخل ذاته، وهو يفكّر في الرد عليه أو ما يمكن أن يضيفه إلى ما يسمع من قول)[2]

وهذه العملية الذاتية التي يقوم بها السامع المنصت تتحول فيما بعد إلى تواصل بين طرفين خارجيين. إن المولى عز وجل يأمرنا بالاستماع والإنصات للتدبر والتفكر في آيات الذكر الحكيم.فيقول:)(وإذا قرئ القران فاستمعوا له و أنصتوا لعلكم ترحمون204 واذكر ربك في نفسك تضرعا و خيفة و دون الجهر من القول بالغدو و الأصال و لا تكن من الغافلين205)[3] فالله عز وجل في قوله السابق يدعوا إلى الإنصات عندما يقرأ القرآن الكريم، من أجل التدبر في آياته، وحتى يذكر الإنسان ربه في نفسه تضرعا وخيفة، وهو يأمر بذلك دون الجهر من القول؛ أي أن يكون هذا الذكر في نفس الإنسان، مما يؤكد حدوث التواصل الذاتي عن طريق الصمت الايجابي، ونقصد به الصمت الذي نكون فيه منصتين إلى غيرنا.

وخلاصة ما سبق أن التواصل الذاتي في البلاغة العربية يقوم على الاعتبار أو ما سماه الجاحظ بالنصبة، وقد ركزوا فيه على الباطن أكثر من الظاهر، كما يقوم على الاعتقاد أي ، وهو الذي يحصل بعد الاعتبار فيصير المرء عالما بمعاني الأشياء، كما ذكروا كذلك الصمت الذي لا يكون مفيدا إلا حين حسن السمع والإصغاء، مما يعين المخاطب على مواصلة التواصل مع محدثه ، فيقيم هو في ذاته تواصلاً ذاتيا قبل أن يقيمه مع غيره.

والتواصل الذاتي عموما يتداخل –في كثير من الأحيان–مع أشكال التواصل الأخرى، وسنوضح ذلك في الفصول الآتية:

---

[1] الجاحظ –البيان والتبيين198/2. –

[2] ينظر جان كلود مارتان – ما التواصل؟ تر :س ب، ص.

[3] الأعراف 205/204

الفصل الثاني
التواصل الشخصي

المبحث الأول: مفهوم التواصل الشخصي

المطلب الأول: مفهومه

المطلب الثاني: عناصره.

المبحث الثاني: أشكاله

المطلب الأول: البيان باللسان

المطلب الثاني: بالسان بالإشارة

المطلب الثالث: الإقناع و التواصل

توطئة :

من المعلوم أن الكون كله، بما فيه من كائنات ومخلوقات يتواصل ، غير أن الإنسان يتميز عن بقية ما في الكون في طريقة تواصله وآلياته وأشكاله، وقد رأينا فيما سبق، كيف يتواصل الإنسان مع ذاته، فيحلل ويناقش ويفكّر ويقرر ...إلخ، وفي ذلك كله تواصل يحدث داخل النفس الإنسانية.

يضاف إلى ذلك كله، أنه يتواصل مع غيره بطرق عدة، بل إن الأصل في التواصل أن يكون بين شخصين أو أكثر، ويدعى هذا ب «التواصل الشخصي.»

«تتجاذب مفهوم التواصل حقول معرفية بالغة التنوع وتكاد تشمل كل المنتوج الإنساني، فكل ما يمكن أن يشتغل كرابط بين الإنسان وما يوجد خارجه، وكل الأشكال الثقافية التي تتحدد من خلالها هوية الأفراد، وتخبر عن انتماءاتهم إلى ثقافة بعينها – لغة ولباسا وطقوسا، ونمط عيش-يجب النظر إليها باعتبارها وقائع إبلاغية تندرج ضمن حالات الاجتماع الإنساني، الذي يتخلى داخله الفرد طو عن ملكوته الخاص، لكي يتوحد مع الآخرين[1] »، وهذا مما يعني أن التواصل الشخصي الحاصل بين شخصين يتطلب التجرد من الملكوت الخاص ليظهر فيه الإنسان بشكل ينبئ عن الهوية التواصلية، ولعل علماء اللغة من بين الذين اعتنوا بالتواصل وأشكاله وعناصره، من حيث النظر إلى وظيفة اللغة.

[1] سعيد بنكراد –استراتيجيات التواصل (من اللفظ إلى الإيماءة –)ص 03.

I–)مفهوم التواصل الشخصي وعناصره

أ– مفهومه:

إذا كان الإنسان يقيم تواصلا ذاتيا بينه وبين نفسه في تفكيره وتقريره ...إلخ، فإنه بالضرورة سيتواصل مع غيره عن طريق وسائل عدة ف « النوع الثاني من الاتصال ... هو الاتصال الشخصي، أي بين فرد، وفرد آخر)[1]

ويكون هذا الاتصال غالبا من أجل الإفادة، لأن « التخاطب، هو إجمالاً عبارة عن إلقاء جانبين لأقوال بغرض إفهام كلٍ منهما الآخر مقصودا معيناً)[2]، هذا مما يعني أن التواصل الشخصي هو إبلاغ رسالة من متكلّم إلى سامع في سياق معين، قصد ال فهم والإفهام، وهذا باد في تعريف البلاغة عند العلماء العرب، إذ ذهبوا إلى أن البلاغة سميت بلاغة « لأنّها تنهي المعنى إلى قلب السامع فيفهمه)[3] ،مما يبين أن العملية قائمة على الفهم والإفهام، بين متكلم وسامع، فالبلاغة العربية إذن مبنية على الوضوح من أجل بلوغ الغاية التواصلية بين المتكلم والسامع ف « لا يظَن أن البلاغة إنما هي الإغراب في اللفظ، والتعمق في المعنى، فإن أصل الفصيح من الكلام، من أفصح عن المعنى، والبليغ من بلغ المراد، ومن ذلك اشتقاقاً فأفصح الكلام ما أفصح عن معانيه ولم يحوج السامع إلى تفسير له، بعد ألاّ يكون كلاما ساقطًا، ولا للفظ العامية مشبها)[4]

ولأن التواصل الشخصي يبنى على عنصرين أساسيين هما:المتكلم والسامع، فإنهما يتبادلان الوظائف حتما، حيث « يبنى التواصل على أساس تبادل الوظائف بين المخاطب والمخاطَب عبر نفس الوضع، Code Maime ليتحول المتلقي نفسه إلى مرسل ، والمرسل إلَى متلقي خلال عملية الإرسال والاستقبال)[5]

---

[1] عبد العزيز شرف – علم الإعلام اللغوي –ص 18.

[2] طه عبد الرحمان – اللسان والميزان –ص 237.

[3] العكسري – الصناعتين –ص 15.

[4] ابن وهب – البرهان –ص 163.

[5] ذهبية حمو الحاج – لسانيات التلفظ، وتداولية الخطاب –ص 150.

وهكذا تتم عملية التواصل بين الطرفين من خلال تبادل الوظائف، إذ يصبح المتكلم مستمعا بعد إلقاء سؤاله أو استفساره في حين يصبح المستمع متكلما عند الرد أو الإجابة كعملية الاستجواب مثلا:

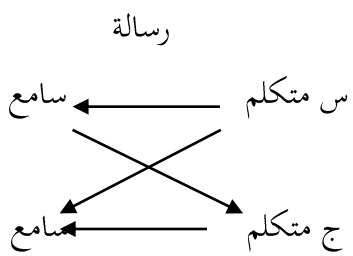

«والمجال الإيصالي الذي ينعقد بين المتكلم والمخاطب، وقد يتهيأ عن كثب بأن يلقي أحدهما الآخر، أو قد يترامى إلى ما هو أوسع من ذلك مدى في المكان والزمان كالذي يقع في الكلام المسجل والعبارات المدونة)[1]،ويمكن تجسيد هذا التبادل في المخطط التالي:

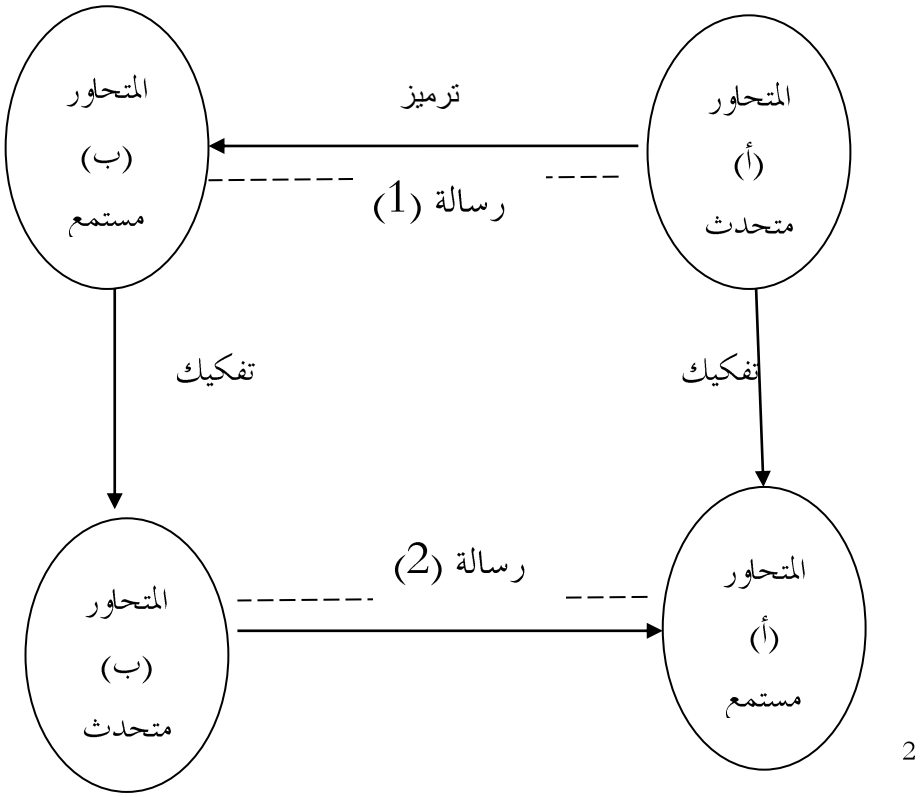

2

[1] لطفي عبد البديع – التركيب اللغوي للأدب –ص 60.

[2] بر مز الطاهر بو – التواصل اللساني والشعرية– ص 4.

ويشترط في هذه الدورة أن يؤدي المتكلم رسالته كاملة على أحسن وجه وأفضل صياغة ، حتى تلقى استجابة من طرف المستمع، ويقام التواصل بينهما حيث « لا يكون المحاور ناطقا حقيقيا إلا إذا تكلم لسانا طبيعيا، وحصل تحصيلاً كافيا، صيغه الصرفية وقواعده النحوية وأوجه دلالات ألفاظه وأساليبه في التعبير والتبليغ)[1]

ويقابل التواصل الشخصي في البلاغة العربية، البيان باللسان، حسب تصنيف ابن وهب « ذلك أن ما يعتقده الإنسان من بيان الاعتقاد، ويحصل منه غير متعد إلى غيره،)[2]من خلال ما وقر في قلبه مما يعتقده، ليتحول في هذه الصورة إلى شكل آخر من أشكال التواصل، لا يعتمد على المرء ذاته باعتباره مرسلا، ومرسلاً إليه، و إنما يصبح خارجيا بين طرفين عن طريق اللغة باعتبارها وسيلة أو قناة للتواصل»فاللغة وسيلة للتواصل البشري في مختلف المجالات، فوظيفتها الأساسية هي التواصل ولابد لتحقيق هذه المهمة من تأثر وتأثير عند استخدام اللغة لإكمال عملية التواصل)[3] وذلك بتبادل المتكلم والسامع المهام، عن طريق التأثير، والتأثُّر، فيكون كُلٌّ منهما (متكلما وسامعا)بالتناوب.

ويقوم هذا الشكل على عناصر أساسية، إذ « يقوم المرسل (أو المتكلم)بتوجيه رسالة إلى المرسل إل (أو المخاطب)وتستند هذه الرسالة إلى سياق (أو مرجع)يفهمه المرسل والمرسل إليه فهما جيدا، وتقوم على سنن مشترك بين الطرفين، جزئيا أو كليا، وتقوم بالربط بينهما قناة تواصل تسمح بربط فيزيائي ونفسي للتواصل، والإبقاء عليه أو قطعه،)[4]ومن هنا يتضح أن التواصل الشخصي يقوم على عناصر ستة، هي تلك التي ذكرها جاكبسون في مخططه.

1طه عبد الرحمان – في أصول الحوار وتجديد علم الكلام –ص 37.
2عبد العزيز شرف–علم الاعلام اللغوي– ص19
3عيسى عودة برهومة – تمثيلات اللغة في الخطاب السياسي –ص 127.
4عمر أوكان – اللغة والخطاب –ص 49.

ب –عناصره:

1 /: (Destinateur)المرسل

ونقصد به المتكلم الحاضر ويعتبر العنصر الأهم في العملة التواصلية فمنه ينطلق الخطاب ويبدأ التواصل، و « المتكلم من وقع الكلام من قصده وإرادته واعتقاده والذي يدل على ذلك أن أهل اللغة متى علموا واعتقدوا وقوع الكلام بحسب أحوال أحدنا، وصفوه بأنه متكلم، ومتى لم يعلموا ذلك أو يعتقدوه، لم يصفوه[1])،والمقصود بالمتكلم هو المرسل، « باعتباره الذات المحورية في إنتاج الخطاب، لأنه هو الذي يتلفظ به من أجل التعبير عن مقاصد معينة وبغرض تحقيق هدف فيه)[2]

ويعتبر المرسل هو المحرك للمرسل إليه، لأنه « مصدر الخطاب المقدم إذ يعتبر كنا حيويا في الدائرة التواصلية، وهو الباعث الأول على إنشاء خطاب يوجه إلى المرسل إليه في شكل رسالة)[3]

2 /: (Destinataire)المرسل إليه

يوجه المرسل رسالته إلى المرسل إل –الذي يقابله»–داخل الدائرة التواصلية، أثناء التخاطب ويقوم المرسل إليه بعملية التفكيك، décodage، لكل أجزاء الرسالة)[4] ،ومن ذلك فالمرسل إليه عنصر مهم كذلك في الدائرة التواصلية، إذ يكون « هو الطرف الآخر الذي يوجه إليه المرسل خطابه عمدا)[5] ،فهو مكون أساسي في العمليات التخاطبية والتواصلية ومن جانب آخر، فإن المرسل إليه /المتلقي، عند البلاغيين ذو أهمية قد تفوق أهمية المرسل، الذي لولا وجود وجهة لخطابه ما كان ليكون، «ففي النموذج البلاغي للتواصل يحتل متلقي الخطاب المقام الأول بدون منازع)[6] حيث أن قيام التواصل مرتبط أصلاً بوجود مخاطب يتفاعل معه المرسل، ومن خلال معرفته للمرسل إليه تكون طريقة الخطاب، ويختار الإستراتيجية المناسبة له.

ويولي البلاغيون أهمية كبيرة للمرسل إليه، « فبناء الخطاب وتداوله مرهون – إلى حد كبير– بمعرفة حاله أو بافتراض ذلك الحال، والافتراض المسبق ركن ركين في النظام البلاغي العربي، إذ العناية في المقام الأول موجهة إلى المرسل إليه، حتى فيما يعرف بالمحسنات البديعية، بوصفها تحقق هدف

1الخفاجي – سر الفصاحة –ص 44.

2عبد الهادي بن ظافر الشهري – استراتيجيات الخطاب –ص 45.

3الطاهر بومزبر – التواصل اللساني والشعرية –ص 24.

4نفسه 25

5عبد الهادي بن ظافر الشهري – استراتيجيات الخطاب –ص 47.

6هنري بليث – البلاغة والأسلوبية (نحو نموذج سيميائي لتحليل النص –)ص 38.

المرسل من الخطاب، وذلك بالتأثير فيه، فالعناية بالمحسنات ليست من قبيل الزخرفة اللفظية ، أو إبراز قدرات المرسل اللغوية كما يشاع عن ذلك[1]»، لذا فإننا نجد أهل البلاغة يعيبون كثرة الزخرفة اللفظية دون داع لذلك، ما لم تكن بقدر التأثير على المرسل إليه، وقد أطلق البلاغيون العرب على المتلقي اسم (السامع)باعتبار أنه متلق لخطاب متكلم.

وقد ركزت البلاغة العربية على آداب السمع ، حيث «كان مطرق بن عبد الله يقول: لا تقبل بحديثك على من لا يقبل عليك بوجهه، وقال عبد الله بن مسعود:حدث الناس ما حدجوك بأبصارهم، وأذنوا لك بأسماعهم، (....)و إذا رأيت منهم فترة فأمسك)[2]،كما حثُّوا على حسن الاستماع، ودعوا إلى تعلمه قبل تعلم الكلام « قال الحسن اذا جالست العلماء، فكن على أن تسمع أحرص منك على أن تقول، وتعلَّم حسن الاستماع كما تتعلم حسن القول، ولا تقطع على أحد حديثه[3]» فمن حسن لاستماع وآدابه ألاّ يقطع السامع حديث المتكلم، حتى يتم ما في ذهنه من أفكار يريد نقلها إليه، ويرى ابن وهب أنه ينبغي على المرء أن يتعلم حسن الاستماع كما يتعلم حسن القول)[4]

3 /: الرسالة (Message)

وبها يتحقق التواصل إذ، تعتبر ثمرة العملية التواصلية بين الطرفين، أو هي «الجانب الملموس في العملية التخاطبية، حيث تتجسد عندها أفكار المرسل في صورة سمعية، لما يكون التخاطب شفهيا[5]»،(ومن هنا تبدو أشكال الرسالة متعددة إما كلاما شفاهيا، أو إيحائيا عن طريق الإشارة وغيرها.

وقد تكون كتابة، فالرسالة إذن هي « النص الكلامي أو الشفوي أو الإيحائي أو أي شكل كان فهو يمثل رسا موحية تتحرك لتصل إلى الطريق الآخر الذي يكون مهيأً لمثل هذه الحركات أو الأفعال الخطابية)[6]

---

[1] عبد الهادي بن ظافر الشهري –استراتيجيات الخطاب48/47. –

[2] لجاحظ –البيان والتبيين–

[3] نفسه 2 191-290

[4] ينظر ابن وهب – البرهان153. –

[5] الطاهر بومزبر – التواصل اللساني والشعرية27. –

[6] عيسى عودة برهومة – تمثيلات اللغة في الخطاب السياسي –ص 125.

4 /: (Contexte) السياق

وهو وضع ما نتحدث عنه من موضوعات في سياق معين، ف « لكل رسالة سياق معين مضبوط قيلت فيه، ولا تفهم مكوناتها الجزئية أو تفك رموزها السننية إلاّ بالإحالة على الملابسات التي أنجزت فيها الرسالة ، قصد إدراك القيمة الإخبارية للخطاب، ولهذا ألح جاكبسون على السياق باعتباره العامل المفصل للرسالة[1]»،فبدونه قد يتعثر المعنى بين المرسل والمرسل إليه، إذا لم تظهر الرسالة داخل سياق معين من خلاله يتوصل المتلقي إلى قصد الملقي ، لتستمر عجلة التواصل بينهما.

5 /: (Canal)القناة

وهنا نتحدث في (القناة)عن اللغة باعتبارها وعاء للعمل التخاطبي، ف « هي التي تسمح بقيام التواصل بين المرسل والمرسل إليه، وعبرها تصل الرسالة من نقطة معينة إلى نقطة أخرى)[2] وقد تكون القناة غير اللغة المنطوقة، كالإشارة مثلاً أو العلامة السيميائية، لكن باعتبار أن التواصل الشخصي يكون شفويا بين شخصين –غالبا–فالقناة حتما هي اللغة المنطوقة أو الإشارة أو هما معا.

5 /: (Cde)السنن

أو ما يسمى ب (الشفرة)لأنه عبارة عن مواضعة بين شخصين أو أكثر، من أجل إقامة التواصل، وهو « نسق القواعد المشتركة بين الباث والمتلقي، والذي بدونه لا يمكن للرسالة أن تفهم أو تؤول)[3] ، فوجود السنن المشترك بين المتخاطبين يبين قصدية المتكلم، ويعين السامع على الفهم، ومن ثَم تستمر العملية التواصلية .

ويعتبر السنن « القانون المنظم للقيم الإخبارية والهرم التسلسلي الذي ينظم عبر نقاطه التقليدية المشتركة بين المرسل والمرسل إليه كل نمط تركيبي، فمنه ينطلق الباث عندما يرسل رسالة خطابية معينة، حيث يعمل على الترميز)[4] ،

و من هنا يبدأ عمل المرسل إليه بفك ذلك الترميز، وحتى يتم العمل بطريقة منظمة لابد أن يكون هناك سنن أو اتفاق مسبق، ودليل ذلك ما يروى من نوادر العرب، حيث « وقع عيسى بن حمير النحوي عن حماره فاجتمع الناس عليه فقال لهم: مالكم تكأكأتم علَي ،تكأكؤكم على ذي حنة ؟ افرنقعوا عني، فقالوا: دعوه، فإن شيطانه يتكلّم بالهندية،

---

[1] لطاهر بومزبر – التواصل اللساني والشعرية. – ص30

[2] عمر أوكان –اللغة والخطاب –ص 49.

[3] نفسه ص 48

[4] نفسه ص 39

وهكـذا فنجـاح التواصـل يتمثـل في اشـتراك البـاث والمتلقـي في السـنن نفسـه، واحترامهمـا لـه، لأن عملية الإسنان والاستنان، تتم بطريقة مثلى وعلى الوجه الصحيح)[1]

وقـد يـؤدي الاخـتلاف المعجمـي أيضـا إلى عـدم الفهـم والتفـاهم بـين الطـرفين أو إلى الفهـم العكسـي –أحيـانا–خاصـة « حـين يتعلـق الخطـاب بـين باث ومسـتقبل في أحـد المسـتويات المتبـاين فيهـا دلاليـا، كدلالة أهل الحجاز بالقرء على الطهر، ودلالة أهل العراق بها (القرء)، على الحيض)[2]

وقـد يقـع ذلـك في اخـتلاف الألسـن واللغـات، إذ يقـول ابـن وهـب في هـذا المضـمار « ألا تـرى أن الشـمس واحـدة في ذاتهـا، كـذلك في اعتقـاد العـربي والعجمـي، فـإذا صـرت إلى اسمهـا وجدتـه في كـل لسـان مـن الألسـن، خـلاف مـا هـو في غـيره)[3]فالشـيء في ذاتـه واحـد، وفي الاعتقـاد أيضـا واحـد، إلاّ أن التسـمية مختلفـة، بحسـب اخـتلاف الألسـن، وقـد مثـل ابـن وهـب لـذلك بالشـمس، والأمثلـة علـى ذلـك كثـيرة، حـتى مـن حيـث التـذكير و التأنيـث ، فـالقمر في اللغـة العربيـة مـثلا، مـذكر أمـا في الفرنسـية فمؤنـث (la lune).

[1] نفسه ص 39

[2] عبد الجليل مرتاض – اللسانيات الجغرافية في التراث اللغوي العربي –ص 123.

[3] ابن وهب – البرهان –ص 58.

I –البيان باللسان

يعتبر اللسان ميزة الإنسان من بين جميع الكائنات والمخلوقات، وهو أهم وأبرز أوجه التواصل الإنساني، ويشترط العرب في اللسان البيان، لذا « قال صاحب المنطق:حد الإنسان، الناطق المبين[1]» أي الموضح لمرادة المفهم لغيره، عن طريق النطق، لذا جمع:بين النطق الإبانة، حيث « قال تبارك وتعالى(و ما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم)* لأن مدار الأمر على البيان والتبيين، وعلى الفهم والتفهم، وكلما كان اللسان أبين كان أحمد)[2]،لأن أهمية اللسان عند العرب تكمن في الوصول إلى المعنى وتقريب المفهوم إلى المخاطب، لذا روى الجاحظ في تعريف البلاغة بأنها: تصحيح الأقسام واختيار الكلام[3])، وذلك حتى يصل بمعناه إلى المخاطب ويبين مراده له.

كما عرف العسكري الفصاحة بقوله »:الفصاحة لسان زين، واللسان هنا الكلام)[4]،ويبدو هنا تركيز البلاغيين العرب على اللسان، فصاحة وبلاغة.لأن « اللسان ترجمان اللّب وبريد القلب والمبين عن الاعتقاد بالصحة والفساد، كما قال الشاعر:

إن الكلام لفي الفؤاد وإنّما جعل اللّسان على الفؤاد دليلا)[5]

بل إن النبي صلى الله عليه وسلم قد مدح اللسان، « وقد سأل العباس فقال:فيم الجمال يا رسول الله؟ فقال:في اللسان[6]» ، وهذا مما يبدي المكانة التي يحتلُّها اللسان والمرتبة المقدمة التي يعنى بها، لأن «أول آلات البلاغة جودة القريحة وطلاقة اللسان)[7] فصاحب القريحة الجيدة، لا يكون بليغا ما لم يكن لسانه طليقا، يحسن ترجمة قريحته، على أكمل وجه وأحسنه ، لأن الغاية هي الإفهام، لذا « قال العتابي:كل من أفهمك حاجته فهو بليغ)[8] ،

---

[1] الجاحظ –البيان والتبيين–

* سورة إبراهيم، الآية 04.

[2] نفسه 1\11

[3] نفسه 88/1

[4] العسكري – الصناعتين –ص 18.

[5] ابن وهب – البرهان –ص 59.

[6] نفسه ص 59.

[7] لعسكري – الصناعتين –ص 30

[8] نفسه ص 20.

ومن لم يستطع الوصول إلى إفهام مخاطبه، فلا يوصف بها، « وقال مُحَمَّد بن الحنيفية ﷺ:البلاغة قول تضطر العقول إلى فهمه بأسهل العبارة)[1]وأيسر سبيل، فإن أطال وكرر مرات، فهو متعثّر.

لقد قسم البلاغيون علم المعاني إلى خبر وإنشاء، ولكل فرع منهما مرجعية معينة، ف « مرجع الخبرية، احتمال الصدق والكذب إلى حكم المخبر، الذي يحكمه في خبره بمفهوم لمفهوم... فأما السبب في كون الخبر محتملاً للصدق والكذب، فهو إمكان تحقق ذلك الحكم مع كل واحد منهما من حيث أنه مخبر، ومرجع كون الخبر مفيدا للمخاطب، إلى استفادة المخاطب منه ذلك الحكم، ويسمى هذا فائدة الخبر، كقولك:زيد عالم، لمن ليس واقفا على ذلك، أو استفادته منه مع أنك تعلم ذلك، كقولك لمن حفظ التوراة، قد حفظت التوراة، ويسمى هذا لازم الفائدة)[2]

وهذا الذي تكلم عنه السكاكي هو الخبر الحقيقي، الذي يلقى لأحد الغرضين دون الأغراض البلاغية، وهما:فائدة الخبر أو لازم الفائدة، وذلك بحسب المخبر عنه، فإن أخبرت عما يجهله السامع فهو فائدة الخبر، وإن أنت أخبرته بما يعلمه، فهو لازم الفائدة، وإنما غاية المتكلم من ذلك هو إعلام المخاطب بأنه – أي المتكلم–على علم بالخبر كذلك.

أ/ولد النبي عام الفيل ← فائدة الخبر (لمن لا يعلم ذلك)

ب/لقد أدبت بنيك باللين ← لازم الفائدة.

فإذا خرج الخبر عن الحقيقة، كان بحسب قصدية الملقي ، وتعددت أغراضه ومن ذلك:

–قال تعالى على لسان زكري–عليه السلام–﴿ إِنِّي وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ مِنِّي﴾3.←الشكوى وإظهار الضعف.

–وقال ﴿..وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ... ﴾ [4] ← الحث

–وقال﴿هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتۡ لَهُمۡ

ثِيَابٞ مِّن نَّارٖ يُصَبُّ مِن فَوۡقِ رُءُوسِهِمُ ٱلۡحَمِيمُ﴾ [5] ← الترهيب

[1]العسكري – الصناعتين –ص 21

[2]السكاكي–المفتاح– ص166

[3]سورة –مريم – الآية 04.

[4]سورة الضحى – الاية 04

[5]سورة –الحج – الآية 19.

-:قال جلَّ شأنه ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَـٰبًا ﴿٣٢﴾ ﴾[1] ← الترغيب

-وقال﴿

إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ ﴾[2] ←

التقرير

أما بحسب المخبر واستعداداته الذهنية، فللخبر تقسيمات أخرى ف « من المعلوم أن حكم العقل حال إطلاق اللسان، هو أن يفرغ المتكلّم في قالب الإفادة ما ينطق به ...، فإذا ألقى الجملة الخبرية إلى من هو خالي الذهن عما يلقى إليه ليحضر طرفاها عنده، وينتقش في ذهنه استناد أحد إلى الآخر ثبوتا، أو انتفاء ،كفى في ذلك الانتقاش حكمه ويتمكن لمصادفته إياه خاليا...فتستغني الجملة عن مؤكدات الحكم، وسمي هذا النوع من الخبر ابتدائيا[3])والمقصود بالخبر الإبتدائي هو الذي يتلقاه السامع، وذهنه خال، فيكون تقبله لخبر المتكلّم سريعا، ويعرف هذا الضرب من الخبر إذا خلا من أي نوع من أنواع التوكيدات.

[1] سورة -النبأ – الآيتان 31-32.

[2] سورة -المعارج – الآيات 19-20-21.

[3] السكاكي –المفتاح- ص 170

وفي الشكل الآتي نفصل تقسيمات الخبر حسب الأغراض والأضرب.

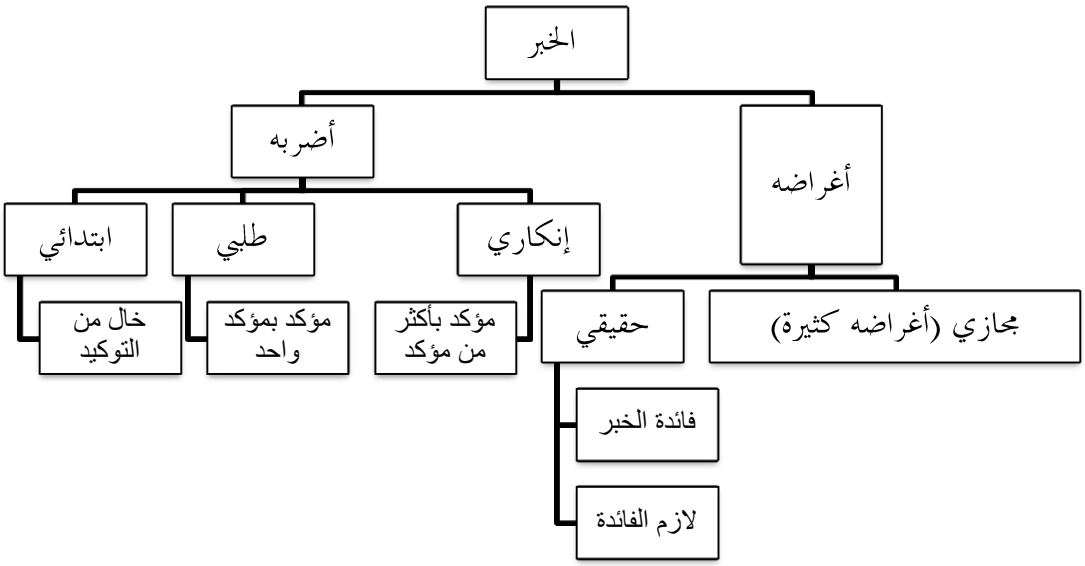

هذا بالنسبة للخبر، أما الإنشاء، فينقسم إلى قسمين كبيرين هما:طلبي وغير طلبي، «وضربا الإنشاء الطلبي، وغير الطلبي ينقسمان إلى فروع جزئية، هي عبارة عن ظواهر أسلوبية فرعية متنوعة، إما لتنوع الصيغ اللغوية ذاتها وأساليبها، وإما لتنوع أغراضها التواصلية وإفادتها»[1]، ذلك حسب قصدية المتكلم، وما يريد إيصاله إلى المتلقي.

[1] مسعود صحراوي – التداولية عند العلماء العرب –ص 105.

ويرى القزويني (توفي 739هـ)أن الإنشاء « ضربان:طلب وغير طلب، والطلب يستدعي مطلوبا غير حاصل وقت الطلب لامتناع تحصيل الحاصل)[1] ،فحين الأمر أو النداء مثلاً، فإننا نطلب وقوع شيء غير حاصل، فلو قلنا لأحد (أكتب)فإن فعل الكتابة غير حاصل حين النطق بفعل الأمر، وإنما هو طلب القيام بفعل الكتابة، وهذا ما ذهب إل أوستين بقوله:«العبارة الإنشائية ...لا يقصد بها قول شيء ما، بل يقصد بها إنجاز هذا الشيء»[2]

أما بالنسبة للطلب، فإن له أغراض حقيقية وأخرى مجازية تتغير بحسب الغرض التواصلي، ف « متى امتنع إجراء هذه الأبواب على الأصل، تولّد منها ما ناسب المقام)[3] ،فليس مقام الأمر الحقيقي في أسلوب الأمر كمقام الالتماس أو الدعاء، وهذا ما نقف عليه في الأمثلة الآتية:

أ/قال جلَّ وعلا :﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾[4] ← حقيقي.

ب/قال جلَّ وعلا: ﴿رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡحِسَابُ﴾[5] ← التضرع الدعاء

ج/قال جلَّ وعلا ﴿ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٖ مِّنۡهُمَا ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ﴾[6] ← التماس

د /قال جلَّ وعلا ﴿فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ﴾7 ← التعجيز

ويكون ذلك في جميع أنواع الإنشاء الطلبي.

حيث أن لكل خطاب جواب فعلي « فجواب النداء إقبال أو إعراض وجواب التضرع والطّلبه بذل أو منع، وجواب الأمر والنهي، وما شاكله طاعة أو معصية، وجواب السؤال عن الشيء، إيجاب أو سلب)[8].

---

[1] القزويني –الإيضاح –ص 131.

[2] أوستين – نظرية أفعال الكلام العامة (كيف ننجز الأشياء بالكلام –)ص 40.

[3] السكاكس –المفتاح– ص304

[4] سورة البقرة، الآية 43.

[5] سورة إبراهيم، الآية 41.

[6] سورة يوسف، الآية 42.

[7] سورة البقرة، الآية 23.

[8] أبو النصر الفارابي –كتاب الحروف –ص 163نقلا عن :مسعود صحراوي – التدوالية عند العلماء العرب 88. –ص

بـل إن الفـارابي (تـوفي 339هـ)، قسـم الكـلام الصـادر عـن الإنسـان إلى صـنفين: ف «القـول الـذي يقتضي بـه شـيء مـا فهـو يقتضي بـه إمـا قـول مـا، وإمـا فعـل شـيء مـا، والـذي يقتضي بـه فعـل شـيء مـا، فمنه نداء، ومنه تضرع، وطلبة، وإذن ومنع، ومنه حثٌّ، وأمر ونهي)[1]

ويمكننا توضيح تقسيمات الإنشاء في المخطط التالي:

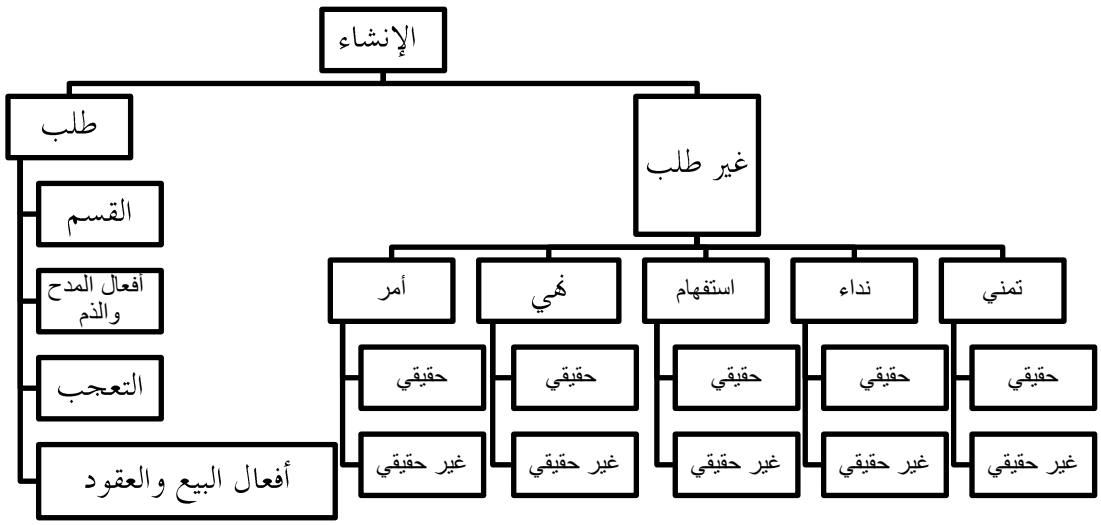

من خلال ما سبق نجد أن الدرس التداولي الحديث قد اتفق مع تقسيم علماء العربي من خلال تقسيمهم الخبر والإنشاء بحسب قصد المتكلم والموقف الخطابي:

الخبر ← الفعل التقريري

الإنشاء ← الفعل الانجازي

[1] نفسه ص 162 نقلا عن :مسعود صحراوي – التداولية عند العلماء العرب –ص 87.

وقد نجد في البلاغة العربية الخبر الذي يفيد ال – حسب قصدية المتكلم-كما في قوله تعالى:

﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ ﴾[1]

فالله جلَّ اسمه يطلب هنا من عباده الالتزام بالإيمان والتقوى، ويوافق هذا الكلام الإنجازي لأوستين. كما أن الإنشاء كذلك قد يفيد التقرير، كما في قوله تعالى :﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ۝٨﴾[2] فهذا الاستفهام لا يفيد السؤال وإنما هو تقرير بقوة الله وحكمه.

[1] سورة الليل، الآيات 5-6-7.

[2] سورة التين، الآية 08.

II –الإقناع والتواصل

يعتبر الإقناع من أهم وظائف التواصل وغاياته، حتى أن البلاغة العربية جاءت من أجل « التواصل والإقناع والإمتاع[1] »،حيث جعلت الإقناع من بين الوظائف التي من أجلها وضعت البلاغة العربية، « والإقناع، هو أحد طرفي العلاقة بين رسالة هادفة إلى توجيه الفكر أو الاعتقاد، وطرفها الآخر هو الإقناع، وهذان الطرفان متلازمان وجودا أو عدما، فلا وجود للاقتناع دون وجود الإقناع[2]» ،لأن الاقتناع يكون من طرف المرسل إليه /المتلقي، والإقناع يكون من طرف الأول وهو المرسل/الملقي، فإن لم يكن الأول فلا وجود للثاني.

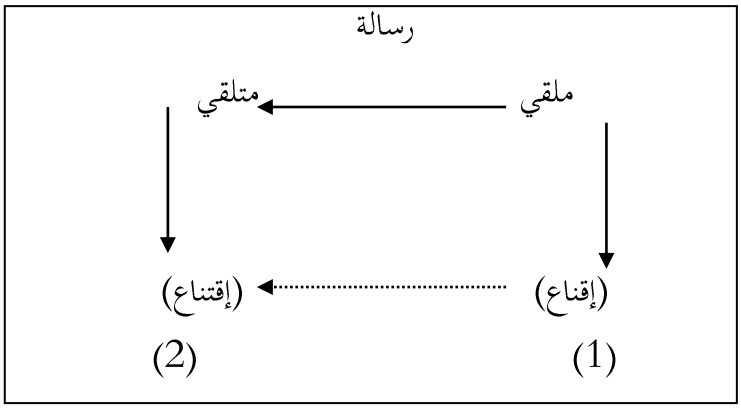

وقد عرف القرطاجني (توفي 684ه)الإقناع بأنه:(إنهاض النفوس إلى فعل شيء أو طلبه أو اعتقاده أو التخلّي عن فعله أو طلبه أو اعتقاده[3]) ،فهذا مما يوضح بأن الإقناع لا يكون من جانب واحد، وهو الجانب الإيجابي، أي القبول والاعتقاد، وإنما قد يدفع بالمتلقي إلى الجانب السلبي، وهو الرفض والتخلي ، وكلاهما يهدف إلى تغيير وجهة نظر المتلقي عن طريق إقامة الحجة وليس ذلك أظهر في قول، أكثر من القرآن الكريم، ف « من وضوح الدلالة وقرع الحجة قول الله سبحانه:﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾4 فهذه دلالة واضحة على أن الله تعالى قادر على إعادة الخلق، مستغنية بنفسها عن الزيادة فيها لأن الإعادة ليست بأصعب في العقول من الابتداء[5] » ،

---

[1] محمد مفتاح – التلقي والتأويل –ص 38.

[2] سمير شريف استيتية – اللسانيات (المجال والوظيفة والمنهج700-701.)

[3] القرطاجني – المنهاج –ص 106.

[4] سورة ياسين، الآيتان 78-79.

[5] العسكري – الصناعتين –ص 27.

فالله عز وجل قد بين قدرته على إعادة الخلق، من خلال، تو ضيحه –جلَّ وعلا–أنه صاحب الخلق الأول، وبذلك فقد أقام حجة قوية على قدرته إعادة الخلق من جديد، لأن القادر على الخلق حتما يقدر على الإعادة.

«وقد أفردت البلاغة فنا من فنونها يؤدي إلى استمالة المتلقي بحسب حالته، سمي الاستدراج) ، وهو استمالة المخاطب بما يؤثره، ويأنس إليه، أو بما يخوفه ويرعبه، قبل أن يفاجئه المتكلم بما يطلب منه، ويكون الاستدراج بأن يقدم المتكلم ما يعلم أنه يؤثر في نفس المتلقي من ترغيب وترهيب ، وإطماع وترهيد، ولأن أمزجة الناس تختلف في ذلك فينبغي أن يستمال كل شخص بما يناسبه)[1]

نرى بأن البلاغيين العرب قد ركزوا على استمالة المتلقي بطرق عدة من أجل الإقناع، لأن « مدار البلاغة كلها على استدراج الخصم إلى الإذعان والتسليم، لأنه لا انتفاع بإيراد الألفاظ المليحة الرائعة ولا المعاني اللطيفة الدقيقة دون أن تكون مستجلبة لبلوغ غرض المخاطب به)[2]

والإقناع لابد أن يكون بطريقة منظمة، يستجمع فيها الملقي كل ما يملك من وسائل مختلفة للتأثير في آراء الآخرين وأفكارهم، بحيث يجعلهم يقبلون ويوافقون على وجهة النظر في موضوع معين، ومن وسائل الإقناع التي اعتمدها البلاغيون «التمثيل» الذي به يفْخيم المعنى ويكمل ويشرف، و(أول ذلك وأظهره أن أُنْس النفوس موقوف على أن تخرجها من خفّي إلى جلي[3]) ،والأنس هنا مقصود به ارتياح نفس المتلقي إلى ما كان من الملقي لذا كان « الإقناع مَباشرا وغير مباشر فأما المباشر فيخاطب الفرد أو الجمهور بشكل تلقائي، دون مواربة، وأما غير المباشر فيكون في العادة متواريا، ولكنه يدفع المتلقي إلى استنتاج الأمور بنفسه، واتخاذ القرار من تلقاء نفسه فيشعر بالرضا والراحة النفس)[4]،وقد يكون النوع الثاني (غير المباشر)عن طريق التمثيل المذكور آنفا فيؤثر الملقي في المتلقي، ويصل هذا الأخير إلى الراحة والرضا بطريقة غير مباشرة، وإنما عن طريق إعمال فكره وتدبره في هذا التمثيل، ومثَّل عبد القاهر لذلك بالمقارنة بين قولك: «إن الذي يعظ ولا يتعظ يضر بنفسه من حيث ينفع غيره – وتقتصر عليه–وبين أن نذكر المثل فيه على ما جاء في الخبر من أن النبي قال{:مثل الذي يعلّم الخير

---

[1] محمد كريم الكواز – البلاغة والنقد –ص 297.

[2] ابن الأثير – المثال السائر في أدب الكاتب والشاعر –ص250.

[3] الجرجاني – الأسرار –ص 99.

[4] راشد علي عيسى – مهارات الاتصال –ص 42.

ولايعمل به مثل السراج يضيء للناس ويحرق نفسه[1]} ،وهنا يكون الكلام أوضح، وأكثر إقناعا للمتلقي بل يضيف مقارنة « قولك للرجل وأنت تعظه:إنك لا تجزي على السيئة حسنة ولا تغر نفسك، وتُمسك، وبين أن تقول في أثره:إنك لا تجني من الشوك العنب، وإنّما تحصد ما تزرع)[2]،فإن هذا المثل الذي تقوله للمخاطب هو أكثر وقعا في نفسه، وأبقى أثرا، لأنك قد أقمت عليه الحجة بما يوافق سلوكه من الأمثال وبذلك يكون اقتناعه بكلامك أكثر.

ومن هنا « تتولد عن المتلقي الوظيفة الإفهامية، وقد جعلت نظرية الأفعال الكلامية غرض قسم من الأفعال، أن يحاول المتكلم إقناع المتلقي بفعل شيء ما وأسمتها التوجيهات ،Directive)وفيها يكون اتجاه المطابقة من الألفاظ إلى العالم، ويقوم محتوى القضية على إنجاز المتلقي للفعل[3])،وهذا ما سبق إليه الجرجاني في تطابق التمثيل بالواقع، بين ما أراد الملقي إيصاله للمتلقي وإقناعه به بطريقة غير مباشرة، أي عن طريق التمثيل، « فحين التكلم تتعين مراعاة فن القول لتصل إلى قلب المتلقي وعقله، وهي برأي لوسبرج Lausbergنظام بنية من الأشكال التصورية اللغوية يصلح لإحداث التأثير، فهي تداولية في صميمها إذ يمكن الاتصال بين المتكلم والسامع»[4]،وحسب رأي كل من هوراد مارتين Howarad Martinوكينيث أندرسين «Kenneth Andersen أن كلَّ اتصال هدفه الإقناع، وذلك أنه يبحث عن تحصيل رد فعل على أفكار القائم بالاتصال)[5]

ويرى ابن وهب بأن إقامة الحجة قد تكون عن طريق الجدل والمجادلة « فهما قول يقصد بهما إقامة الحجة فيما اختلف فيه اعتقاد المتجادلين)[6]، وقد قدم الجاحظ مثالاً على ذلك، في إياس بن معاوية، إذ « دخل الشام وهو غلام، فتقدم خصما له، وكان الخصم شيخا كبيرا، إلى بعض قضاة عبد الملك بن مروان، فقال له القاضي : أتقدم شيخا كبيرا؟ قال:الحق أكبر منه، قال:اسكت، قال:فمن ينطق بحجتي؟ قال: لا أظنُّك تقول حقا حتى تقوم، قال:لا إله إلاّ الله ، أحقًا هذا أم باطلاً؟ فقام القاضي، فدخل على عبد الملك من ساعته فخبره بالخبر، فقال عبد الملك : اقضِ حاجته الساعة وأخرجه من الشام، لا يفسد علي الناس)[7]

---

[1] الجرجاني – الأسرار –ص 98.
[2] نفسه ص 98.
[3] محمد كريم الكواز – البلاغة والنقد –ص 297.
[4] عيسى عودة برهومة – تمثيلات اللغة في الخطاب السياسي –ص 128.
[5] محمد العبد – النص الحجاجي العربي (دراسة في وسائل الإقناع –)ص 45.
[6] ابن وهب – البرهان –ص 176.
[7] الجاحظ –البيان والتبيين –ج101/1.

وقد بين صاحب البرهان أن الجدل والمجادلة، قسمان، أحدهما محمود والآخر مذموم، أما المحمود فالذي يقصد به الحق، وأما المذموم ما كان من أجل الغلبة، والتفاخر، وإظهار الذات رياء)[1]

وقد فسر الطاهر بن عاشور قوله تعالى:﴿وَلَا تُجَٰدِلۡ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخۡتَانُونَ أَنفُسَهُمۡۚ﴾[2] بقوله: (والمجادلة مفاعلة من الجدل، وهو القدرة على الخصام، والحجة فيه، وهي منازعة بالقول لإقناع الغير)[3]

ومن خلال ما سبق، نتوصل إلى أن البلاغيين العرب قد ركزوا في التواصل الشخصي حتى يستمر ويقوم على أسس صحيحة، لابد أن يتوفر فيه السياق بين المتكلم والسامع إضافة إلى توفر قصدية المتكلم في إقناع السامع.

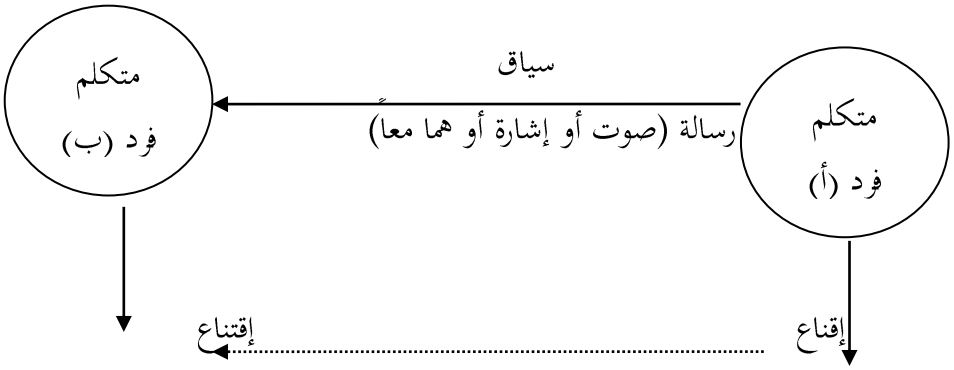

[1] ينظر ابن وهب – البرهان –ص 177.

[2] سورة النساء- الاية 107

[3] عبد الله صولة – الحجاج في القرآن وأهم خصائصه الأسلوبية –ص 11.

الفصل الثالث

التواصل الإجتماعي

المبحث الأول: مفهوم التواصل الاجتماعي

المطلب الأول: مفهومه

المطلب الثاني: عناصره.

المبحث الثاني: وجوهه

المطلب الأول: الخطابة

المطلب الثاني:مطابقة الكلام لمقتضى الحال

توطئة:

إنّ للغة عدة وظائف، ومن أهمها الوظيفة التواصلية، التي من شأنها أن تحافظ على حياة اللغة، لأن اللغة تعيش بالتداول، وبغيره لا حياة لها، ولا تكون اللغة لغة، إلاّ أذا عاشت بين أحضان المجتمع، وهذا ما ذهب إليه إميل دوركايم بقوله :(إن حدود اللغات تميل إلى الاقتران بحدود الزمر الاجتماعية groupes sociaux التي تدعى بالأمم)[1]

ومنه فلا تعيش أي لغة كانت إلاّ بين زمرة اجتماعية ما، مما يؤكد بأن اللغة ظاهرة اجتماعية، فالإنسان يتواصل مع أفراد المجتمع الذي يعيش فيه، ويختلط بهم في أوقات وأماكن مختلفة.

ولقد تعرفنا في الفصل السابق على التواصل الشخصي، الذي يحدث بين شخصين، بشرط أن يتعارفا على شفرة محددة بينهما، وإذا توسع هذا الشكل من التواصل، أصبح تواصلاً اجتماعيا، يدور بين أفراد المجتمع ككل.

[1] لويس جان كالفي- علم الاجتماع اللغوي- ص 11

I –مفهوم التواصل الاجتماعي وعناصره

أ/مفهوم التواصل الاجتماعي:

إن الإنسان يقيم تواصلاً ذاتيا بينه وبين نفسه، كما يقيم ذلك مع شخص آخر، فينتقل من التواصل الذاتي إلى التواصل الشخصي، وإذا كان بين جماعة أصبح اجتماعيا، ذلك باعتبار أن اللغة تواضع اجتماعي، حيث « يوجد على الأقل في كل موقف تواصلي شخصان، أحدهما فاعل حقيقي، والآخر فاعل على جهة الإمكان، أي المتكلم والمخاطب على التوالي، وكلاهما ينتميان على الأقل إلى جماعة لسانية، أي طائفة من الأشخاص لها نفس اللغة وترابط ضروب الاتفاق (.....)للقيام بالفعل المشترك الإنجاز)[1]، فيقال مثلاً في لغة العرب أن السيف القاطع حسام، أي تواضعوا على أن أطلقوا عليه هذا الاسم، وحددوا له هذه الصفة)[2] ،

وهذا هو ذات المفهوم الذي جاء به ابن جني عند تعريفه اللغة على أساس أن كل قوم يعبرون عن حاجتهم بلغة تواضعوا عليها، لذا نجد العرب تقول عن شيء ما « في لغة بني تميم كذا، وفي لغة أهل الحجاز كذا...والمعنى أن بني تميم تواضعوا على ذلك، ولم يتواضع أهل الحجاز عليه)[3] ، لذا تعددت اللغات عند العرب، حسب القوم، كلغة هذيل، ولغة حمير، ولغة أهل الحجاز، وغيرها من اللغات المشهورة إذن فالمواضعة أساس التواصل بين أفراد المجتمع « ونعني بالاتصال أو التفاعل الاجتماعي هنا، جميع أشكال الاحتكاك والتواصل التي تفرضها العلاقات الاجتماعية الإنسانية، وتدعو الأغراض الحياتية أوالمعيشية للفرد والجماعة، وتستدعي التخاطبوادام اللغة في إطارها اللفظي أو الرمزي العام)[4]،فكل احتكاك اجتماعي في أي مجال كان – سواء في مجال الحياة العامة، أو التعليم أو غيرهما... يعتبر تواصلاً اجتماعيا بين أفراد هذه الجماعة لأن «معنى التواصل...أكثر شمولية من معناه المعتاد، المنحصر في المنطوق والمكتوب والشبه لغوي، أي تلك العناصر التي تمثل أشكال التبادل الأساسية بين الأفراد، إننا نوسع من دائرته لكي يشمل أيضا أفعال وسلوكات الفاعلين الاجتماعيين)[5]،

لأن السلوك إذا تعارف عليه المجتمع وأقره، يصبح وسيلة من وسائلالتواصل الاجتماعي، كما كان مع النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، إن سكت ﷺ على شيء ما أو سلوك

---

[1] فان دايك – النص والسياق –ص 258.

[2] ينظر الخفاجي –سر الفصاحة –ص 48.

[3] نفسه – ص 48.

[4] أحمد محمد معتوق – الحصيلة اللغوي –ص 71.

[5] أليكس موتشيلي، جان أنطوان كوريلان، فاليري فيرناندز – المعنى والتنسيق والسيرورات –ص 51.

ما، وأقره، قالوا سنة تقريرية، فسلوك الصمت عند الرسول ﷺ شيء متعارف عليه، والعرب تقول(:السكوت علامة الرضا).

ويرى جاكبسون أن «المهمة الطبيعية للسانيات، هي إثارة الأهمية الأساسية لمفهوم التواصل في العلوم الاجتماعية، وحسب صياغة سابير، إن...كل سلوك اجتماعي يتضمن تواصلاً، سواء كان بمعنى صريح أو ضمني، فالمجتمع لا يبدو بوصفه بنية ثابتة، بل بوصفه شبكة بالغة التعقيد، من أنواع الفهم الجزئية الكاملة بين أعضاء الوحدات التنظيمية، ذات التعقيد. ويعاد التأكيد والتشديد على هذه الشبكة بصورة خلاقة عن طريق أفعال معينة ذات أبعاد تواصلية)[1]

من خلال قول جاكبسون، يتبين أن التواصل الاجتماعي، ليس تواصلاً لفظياً فقط، بل قد يكون سلوكا اجتماعيا ذا طبيعة تواصلية، والمقصود من ذلك أن يكون السلوك متعارفا على معناه، بحيث يفهم المتلقي ما يريده الملقي بحسب ما تواضع عليه المجتمع تجاه هذا السلوك، كأن ترد فتاة على من تقدم لخطبتها بالصمت، فالصمت سلوك معروف بدلالته على القبول، لأن « الاتصال ليس وظيفة بيولوجية يؤديها الإنسان كما يؤدي وظائفه الحيوية الأخرى، لكنه يكتسبه من المجتمع[2]»،كما اكتسب مجموعة من السلوكات المتواضع عليها، حتى يقيم تواصلا بينه وبين أفراد المجتمع.

[1] رومان جاكبسون – الاتجاهات الأساسية في علم اللغة –ص 59-60.

[2] عبده الراجحي– اللغة وعلوم المجتمع –ص 34.

ب /عناصره:

يقوم التواصل الاجتماعي على ذات العناصر التي يقوم عليها التواصل الشخصي، والأهم فيها ثلاثة (الملقي المتلقي/الرسالة)، يضاف إلى ذلك المجتمع، حيث « تقوم اللسانيات التواصلية على منظومة ثلاثية الأقطاب، أولها المرسل باعتباره صاحب المبادأة في التواصل، وثانيها المستقبل باعتباره هدفاً مباشرا للرسالة، وثالثها المجتمع باعتباره مصدر العلاقة بين أطراف التواصل، وباعتباره كذلك مصدر النظام الذي تبنى على أساسه هذه العملية)[1]

والمجتمع هو المجال العام الذي يقوم فيه التواصل، لأنه مصدر العلاقة بين أطرافه (الملقي/المتلقي)، كما أن له علاقة مباشرة مع الفرد واللغة أيضا، « فبين الفرد والجماعة علاقة ثنائية الاتجاه، وإن كان تأثير لغة الجماعة في الفرد أقوى من تأثيره في لغة جماعية ...باعتبار انتماء الفرد إلى النظام اللغوي للجماعة[2]» ،ومعنى ذلك أن التأثير متبادل بين الفرد والجماعة، و إذا أردنا تجسيد هذه العلاقة نجدها كالمثلث الذي تتعالق أطرافه، كما يوضحه الشكل التالي :

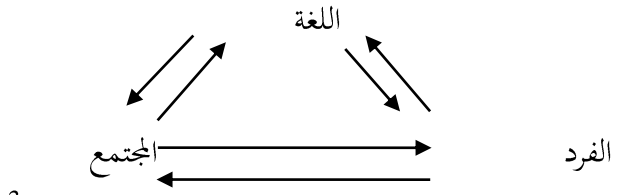

العلاقة بين لغة الفرد و الجماعة[3]

[1] سمير شريف استيتية – اللسانيات التواصلية والمجتمع –ص 07.

[2] سمير شريف استيتية – اللسانيات (المجال–الوظيفة–المنهج –)ص 679.

[3] نفسه ص 679

II-الخطابة

لقد ركز البلاغيون العرب في التواصل الاجتماعي على الخطابة باعتبارها مجسدة له، وباعتبار اللغة التي يجب أن تكون مشتركة بين الخطيب والمستمعين وتقوم الخطابة على عنصرين أساسيين هما:المرسل/الخطيب، والمرسل إليه/جمهور المستمعين، ولقد اشتغل البلاغيون القدامى على الخطبة كثيرا، خاصة الجاحظ الذي خصص لها فصولاً في كتابه البيان والتبيين، مبينا المضامين المطروقة، وصفات الخطيب، من قوة وجهارة صوت وغيرها، كما ركز على المخاطبين كذلك بحسب أفهامهم وطبقاتهم السياسية والاجتماعية، لذا كان مدار الخطابة على الإفهام والإقناع.

أ /الإفهام:

إن غاية الخطيب أولاً أن يصل موضوعه إلى ذهن المتلقي، فيقع الفهم، فمدار الخطابة على الفهم والإفهام، كما أننا نجد الخطباء قد ركزوا كثيرا على المقدمة الخطابية لشد انتباه جمهورهم. ويمكن توضيح ذلك في المخطط التالي:

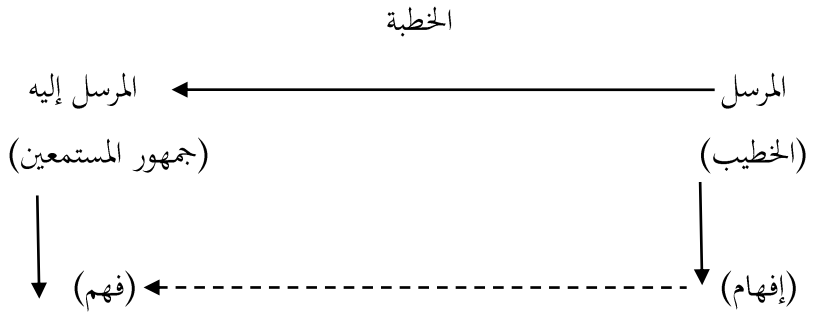

وفي هذه الحال لابد على الخطيب أن يراعي حال المرسل إليه ومنزلته ف « مدار الأمر على إفهام كل قوم بمقدار طاقتهم، والحمل عليهم على أقدار منازلهم[1]»، أي حسب مكانتهم الاجتماعية، وحسب معرفتهم باللغة، لأن ذلك من شأنه أن يعيق إفهام المتلقي، وتحقيق التواصل .

ومما تنكره العرب « أن تَكلم الحاضرةُ والمولّدون من العرب بما لا يعرفون، وبما هم إلى تفسيره محتاجون، وأن تكلّم السخفاء، بما تكلّم به الخاصة الأدباء، وإنما مثل من يكلم إنساناً بما لا يفهمه وبما يحتاج إلى تفسيره، كمثل من كلّم عربيا بالفارسية،لأن الكلام إنّما وضع ليعرف به السامع مراد القائل[2]»

[1] الجاحظ –البيان والتبيين1/93.

[2] ابن وهب – البرهان –ص 163.

ومن هنا يبدو أن العرب قد ركزوا على حال المتلقي أكثر من الملقي، وإن كانوا قد كزوا على هذا الأخير في بعض الجوانب، حتى يستطيع الوصول إلى إفهام المخاطب، ومن ذلك ما ذكره الجاحظ، أن عمرو بن عبيد المعتزلي سئل عن معنى البلاغة فقال: « إنَّك إن أوتيت تقرير حجة الله في عقول المكلّفين، وتخفيف المؤونة عن المستمعين، وتزيين تلك المعاني في قلوب المريدين بالألفاظ الحسنة في الآذان، المقبولة عند الأذهان، رغبة في سرعة استجابتهم، ونفي الشواغل عن قلوبهم بالموعظة الحسنة على الكتاب والسنة، قد أوتيت فصل الخطاب، واستوجبت على الله جزيل الثواب[1]»،وذلك حتى يوصف المتكلم بالبلاغة من خلال وصوله إلى أذهان مستمعيه فيفهمهم مراده.

ومما اشترطوه في الملقي أن يكون « عارفًا بمواقع القول وأوقاته واحتمال المخاطبين له فلا يستعمل الإيجاز في مواضع الإطالة فيقصر عن بلوغ الإرادة، ولا الإطالة في مواضع الإيجاز فيتجاوز عن مقدار الحاجة إلى الإضجار والملالة »[2] ،حتى يستطيع الوصول إلى غايته.

وقد فصل العرب في أمر الإطناب والإيجاز فليس كل إيجاز محبب، ولا كل إطالة مردودة، « وإنما تحسن الإطالة وبسط الكلام...في تفسير الجمل وتكرير الوعظ، وإفهام العامة، ويليق ذلك بالأئمة والرؤساء، ومن يقتدى به ويؤخذ عنه[3] »

ب– الايجاز :أما الايجاز فله مواضعه أيضا، وحسب ابن وهب « ينبغي أن يستعمل في مخاطبة الخاصة من ذوي الأفهام الثاقبة، الذين يجتزئون بيسير القول عن كثيره، وبمجمله عن تفسيره[4]»، لأن الخاصة من ذوي الأفهام سريعو الفهم يتوصلون إلى المعنى بأيسر القول، لذلك قيل: «رب بقليل يغني عن الكثير...بل رب كلمة تغني عن خطبة وتنوب عن رسالة[5] » ،غير أنه يشترط ألاّ يكون مجحفًا للمعنى، معيبا له، فالإيجاز أيضا « ليس بمحمود في كل موضع، ولا بمختار في كل كتاب، بل لكل مقال مقام، ولو كان الإيجاز محمودا في كل الأحوال لجرده الله في القرآن، ولم يفعل الله ذلك، ولكنه أطال تارة للتوكيد، وحذف تارة للإيجاز، وكرر تارة للإفهام[6]»،وهذا ما يقف عنده القارئ للقرآن الكريم الذي جمع بين الإطالة والإيجاز كما في الأمثلة الآتية:

---

[1] الجاحظ –البيان والتبيين1/114. –

[2] ابن وهب – البرهان153. –

[3] نفسه ص 161.

[4] ابن وهب – البرهان – 154

[5] الجاحظ –البيان والتبيين–2\07

[6] ابن قتيبة الدينوري – أدب الكاتب –ص 13.

-قال تعالى ﴿وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾[1] فهذه الآية معناها واسع كثير، لكن اللفظ المستعمل فيه أقل منه، رغم ذلك فهو مؤد للمعنى على أكمل وجه.

-ومنه قوله تعالى: ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٞ يَأۡخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصۡبًا﴾[2] و المقصود هنا كل سفينة سليمة صالحة صحيحة، بدليل ما جاء بعد ذلك على لسان الخضر بقوله تعالى ﴿فَأَرَدتُّ أَنۡ أَعِيبَهَا﴾.[3]

ج – الاطالة:أما الإطالة من أجل التوكيد، فمثالها قوله تعالى:﴿فَأۡتُوهُنَّ مِنۡ حَيۡثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُۚ نِسَآؤُكُمۡ حَرۡثٞ لَّكُمۡ...إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ﴾[4]، فإن قوله تعالى: ﴿نِسَآؤُكُمۡ حَرۡثٞ لَّكُمۡ﴾شرح وتوكيد لقوله ﴿فَأۡتُوهُنَّ مِنۡ حَيۡثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُۚ﴾

-:أما الإطالة بالتكرير، فمنها قوله تعالى:﴿كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ۝ ثُمَّ كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ﴾[5]

﴾[5]

وليس الإيجاز أو الإطناب ممدوحين في ذاتهما، وإنما بحسب الحاجة إليهما، ف « القول القصد أن الإيجاز والإطناب يحتاج إليهما في جميع الكلام، وكل موضع منه، ولكلِ واحد منهما موضع، فالحاجة إلى الإيجاز في موضع كالحاجة إلى الإطناب في مكانه، فمن أزال التدبير في ذلك عن جهته، واستعمل الإطناب موضع الإيجاز، واستعمل الإيجاز موضع الإطناب أخطأ[6]»فلكل منهما موضع حسب الحاجة إليه.

وتجدر الإشارة إلى أنه على الخطيب أن يتعامل مع جمهور السامعين بحسب انتباههم إليه، فإن هو رأى القوم مقبلين اهتماما وإنصاتا لقوله زادهم – إن أراد-بقدر ما يحتملون، وإن تبين له إعراضهم عنه، وتثاقلهم في الاستماع إليه خفّف عنهم، و أجاز قوله [7]» ،وذلك حتى يستطيع الخطيب التعرف

---

[1] سورة البقرة، الآية179

[2] سورة الكهف، الآية 79.

[3] سورة الكهف، الآية 79.

[4] سورة البقرة، الآيتان222-223.

[5] سورة التكاثر، الآيتان3-4

[6] أبو هلال العسكري – الصناعتين –ص 190.

[7] ينظر ابن وهب – البرهان –ص 153.

ما إذا وصل الفهم للمخاطبين أم لا، فنظراتهم وتغيرات قسمات وجوههم وهم ينظرون إليه معبرة عن ذلك بما تعبر عن استساغتهم للموضوع أم نفورهم منه.

III-مطابقة الكلام لمقتضى الحال

تراعي البلاغة العربية عموما حال السامع، خاصة في الخطابة، وقد دعاه البلاغيون باسم (مقتضى الحال)، وهو « الاعتبار المناسب»،ومعنى ذلك أن الخطيب يراعي المقام الذي يصاغ فيه كلامه، وقد حدد السكاكي المقامات بقوله»[1]:لا يخفى عليك أن المقامات متفاوتة، فمقام التشكّر يباين مقام الشكاية، ومقام التهنئة يباين مقام التعزية، ومقام المدح يباين مقام الذم، ومقام الترغيب يباين مقام الترهيب، ومقام الجد في جميع ذلك يباين مقام الهزل[2]»

من خلال قول السكاكي، يتبين أنه على الخطيب أن يراعي مقام كلامه، فلا يكون جادا في موطن الهزل، ولا هزليا في موطن الجد، ولا مرغّبا في مقام الترهيب، وغير ذلك من المقامات المختلفة، وفي ذلك يقول الجاحظ»:إذا أعطيت كل مقَام حقّه، وقمت بالذي يجب من سياسة ذلك المقام، وأرضيت من يعرف حقوق الكلام، فلا تهتم لما فاتك من رضا الحاسد والعدو فإنه لا يرضيهما شيء»[3]...فالعرب قد ركزوا على المقام، لأنه يساعد على التواصل وإفهام المخاطب.

ولم يمدح العرب مراعاة المقام في النثر أو التواصل العادي فقط، بل مدحوه حتى عند الشعراء، ومن ذلك ما ذكره الحسن بن بشر الآمدي، وعلي بن عبد العزيز الجرجاني (توفي 366هـ)، أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب – رضي الله عنه-أثنى على زهير بن أبي سلمى، بأنه كان لا يمدح رجلاً إلاّ بما في الرجال، ولا يمدح العامة بما يمدح الخاصة، ولا يمدح التجار وأصحاب الحرف بما يمدح به الصعاليك وحملة السلاح[4] »

ومقتضى الحال أو المقام هو ما يسميه المحدثون ب (سياق الحال)أو (سياق المقام)، ومن أوضح تعريفاته هو»:كل ما يحيط باللفظ من ظروف تتصل بالمكان أو المتكلم أو المخاطب في أثناء النطق،

---

[1] القزويني – الإيضاح –ص 33.

[2] السكاكي – المفتاح –ص 168.

[3] الجاحظ –البيان والتبيين1/116. –

[4] ينظر (الآمدي)أبو القاسم، الحسن بن بشر –الموازنة بين أبي تمام والبحتري –ص 261. و(الجرجاني)علي بن عبد العزيز – الوساطة بين المتنبي وخصومه –ص 24.

فتعطي اللفظ دلالته، وتوجهه باتجاه معين، فهو إذن مجموعة العوامل والعناصر المحيطة بالنص من خارجه التي تساعد في تفسيره[1] »

من خلال التعاريف السابقة نستنتج أن مقتضى الحال/المقام، يضم كل ما يحيط بالعملية التواصلية من ظروف مكانية، والموقف الذي يصدر فيه الحدث الكلامي، إضافة إلى المتكلم والمخاطب معا، لكن البلاغيين العرب ركزوا – غالبا–على الموقف وعبروا عنه ب (المقام)كما ركزوا على حال السامعين، واشترطوا على الخطيب أن يوازن المعاني مع أقدار المستمعين ومقاماتهم، حيث « ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني، ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين، وبين أقدار الحالات، فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاما، ولكل حالة من ذلك مقاما، حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني، ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات[2]»

ومن هنا يبدو أن العرب قد اهتموا بحال المخاطب وقسموه إلى (خواص/عوام) دون أن ينقصوا من قيمة المعنى مهما كان المخاطب، وقد ورد هذا في صحيفة بشر بن المعتمر، حين مروره بإبراهيم بن جبلة بن مخرمة السكوني، وهو يعلّم فتيانهم الخطابة، فقال...»:فكن في ثلاث منازل، فإن أولى الثلاث أن يكون لفظك رشيقا عذبا، وفخما سهلا، ويكون معناك مكشوفا، وقريبا معروفا، إما عند الخاصة إن كنت للخاصة قصدت، وإما عند العامة، إن كنت للعامة أردت، والمعنى ليس يشرف بأن يكون من معاني الخاصة، وكذلك ليس يتضع بأن يكون من معاني العامة، وإنما مدار الشرف على الصواب وإحراز المنفعة مع موافقة الحال، وما يجب لكل مقام من المقال[3]»

وهكذا يصح الكلام والإيصال، وينتج عنه تواصلاً بين المتكلّم والمخاطب، عندما يقيم المتكلّم المعنى في نفسه، ويحدد الغرض الذي يقال فيه، والمقام الذي يجب له.وفي هذا يرى القرطاجني أن« اعتبار ما تكون عليه المعاني من صحة وكمال ومطابقة للغرض المقصود بها، وحسن موقع في النفس يكون بالنظر إلى ما المعنى عليه في نفسه، وبالنظر إلى ما يقترن به من الكلام، وتكون له به علَقة، وبالنظر إلى الغرض الذي يكون الكلام منقولاً فيه، وبالنظر إلى حال الشيء الذي تعلّق به القول[4]»، وبذلك يكون القرطاجني، قد ألم بكل العوامل الخارجية للكلام، فالمعاني حتى تكون صحيحة مطابقة للغرض الذي يقصده القائل، لابد أن تراعى فيها أربعة أشياء:

---

[1] حسين حامد الصالح – التأويل اللغوي في القرآن الكريم –ص 128.

[2] الجاحظ –البيان والتبيين –،1/138-139وينظر أيضا في هذا المعنى، الصناعتين ص 153.

[3] السابق –1\136

[4] القرطاجني – المنهاج–ص 130.

-
- الكلام نفسه، هل هو مؤد للغرض المقصود أم لا؟
- ما اقترن به الكلام، وما له علاقة به.
- الغرض الذي من أجله نقل هذا الكلام.
- حال الشيء الذي تعلّق به القول.

وهكذا تكون المعاني موافقة للمقام أو السياق الخارجي للقول.

كما وضح علماء البلاغة أن معرفة أقدار الألفاظ، وأقدار المعاني يكون بحسب الموقف الذي يقال فيه الكلام، حتى يأتي المتكلم للمعاني ألفاظًا تليق بها، ومعنى ذلك أن المتكلم لا يستطيع أن يعطي اللفظ حقه، من المعنى ولا أن يوفّر للمعنى اللفظ الذي يوافقه إلاّ إذا راعى في ذلك مقام الكلام، « فالكلام يجري حسب الموقف الذي يحدث أو الذي يثير الكلام، ويثير اللغة، فهذا يعبر عن مشكلات، قضايا، أوضاع اجتماعية...أيا كانت[1]»،وهذه الإثارة للكلام أو اللغة، لابد أن تكون حسب المقام والموقف الذي يجري فيه الحدث الكلامي، لذا قالت العرب(:لكل مقام مقال)، فمن غير الكافي أن يعرف الإنسان ما يقال وإنما يجب أن يعرف متى، وأين وفي أي موقف يقوله، ولمن يوجهه، فالمتكلم لابد أن يتساءل إذا ما عرف ما يقوله:

- هل هذا هو الوقت المناسب؟
- هل هذا هو المكان المناسب؟
- هل هذا هو الموقف المناسب؟
- هل هذا هو الشخص المناسب لهذا القول؟

وبذلك تؤثر اللغة تأثيرا كبيرا في فهم الحقائق و الأفكار، وتفسيرها بحسب الموقف الذي قيلت فيه،

من خلال ما سبق ندرك أن علماء العربية قد ركزوا في ال اصل على المقام ومطابقة الكلام لمقتضى الحال، ومقتضى الحال عندهم يحددونه وفق النقاط التالية:

- موازنة أقدار المعاني بأقدار المستمعين.
- موازنة أقدار المعاني بأقدار الحالات.
- الموازنة بين الألفاظ وأقدار المستمعين.
- معرفة المقامات والتفريق بينها،و اختيار المعاني والألفاظ حسب المقام (تشكر، تهنئة)...
- حسن مؤاخاة معاني النحو على حسب الأغراض التي يصاغ فيها الكلام.

[1] عيسى عودة برهومة – تمثلات اللغة في الخطاب السياسي –ص 131.

ويمكن تقسيم المقام إلى قسمين:خارجي وداخلي:

أ/الخارجي:وهو كل ما هو خارج ذات المتكلم وعناصره هي:

- المتلقي

1- طبقته العلمية والفكرية والاجتماعية والسياسة...

2- ردود أفعاله:وتشمل الرفض والقبول...

- وسيلة الاتصال:ويقصد بها اللغة، والوسيلة هي المشافهة أو المكاتبة.
- السياق العام:ويقصد به السياق الاجتماعي والسياسي...
- طبيعة الموضوع:قد تكون سياسية، اقتصادية، اجتماعية..ويراعى في ذلك المتلقي.

ب/الداخلي:ويراعى فيه مقاصد المتكلم، وقد تكون سابقة أو طارئة[1]»

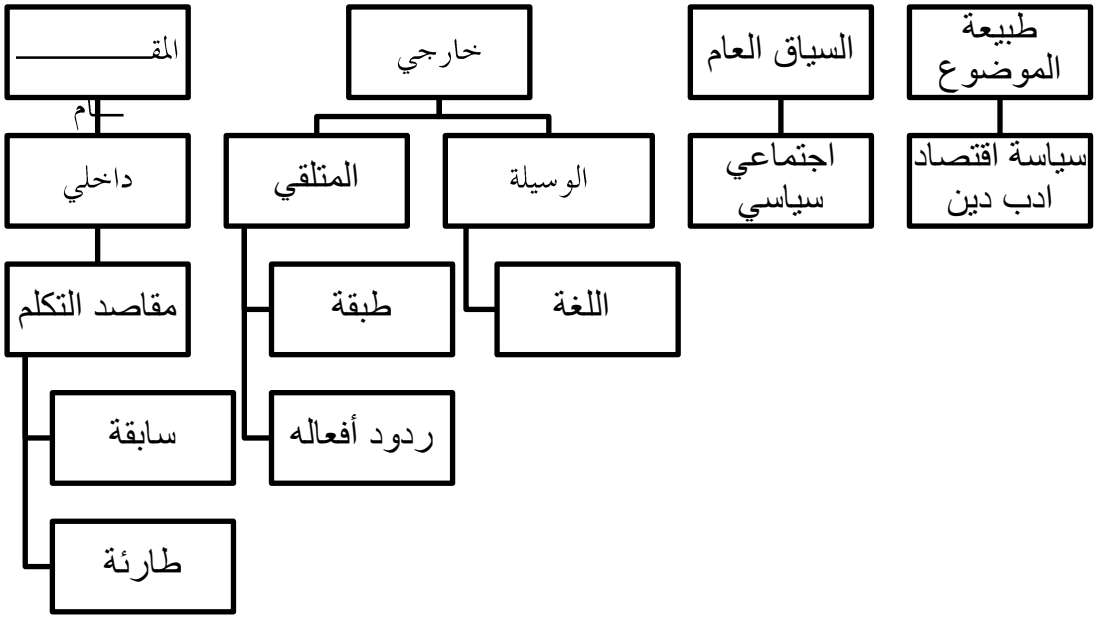

مخطط أقسام المقام[2]

[1] ينظر :جميل عبد الحميد – البلاغة والاتصال-ص132-133-134-135.

[2] السابق ص 133

خاتمة

الخاتمة

بعد هذه الجولة في التواصل والتراث البلاغي العربي ،نستطيع الوصول إلى أن العرب في تراثهم اللغوي والبلاغي، قد تنبهوا إلى معنى التواصل من خلال تعريفهم اللغة، حيث أعطاها ابن جني من خلال تعريفه سمة الجماعية، كما وضح ابن سنان وظيفة اللغة بأنها للتبليغ، وتربط بين المتكلم والسامع عن طريق الفهم والإفهام. كما حدد العرب عناصر التواصل، فتوصلوا إلى أن الملقي،المتكلم، المتلقي ،السامع باعتبارهما العنصرين الأساسيين في العملية التواصلية.

(خبر) عن طريق قناة وهي (اللغة) أو ما يقوم مقامه كالإشارة باليد أو الإيماء بالرأس يتبادلان بينهما رسالة وغيرهما، ولا يكون ذلك إلاّ في سياق معين (مقتضى الحال /المقام)، وحتى يكون الفهم والإفهام تاما لابد أن يتعارف المتكلم والسامع على شفرة معينة، وذلك ما سماه ابن سنان ب (المواضعة) وبذلك تكتمل عناصر التواصل الستَّة..

كما توصل العرب في تراثهم البلاغي إلى الوقوف على أشكال التواصل، وهي التواصل الذاتي الذي يقع في النفس فيكون الفرد هو المتكلم والسامع معا، عن طريق الحوار الداخلي الذي يقيمه في نفسه، وقسمه ابن وهب إلى وجوه هي الاعتبار ويسميه الجاحظ (النصبة) ثم الاعتقاد، وقد يقع التواصل الذاتي أيضا عن طريق الصمت، ولا يعنون بذلك الصمت السلبي، وإنما الصمت الذي تكون غايته الإنصات إلى المخاطب، حتى يقيم السامع تواصلاً ذاتيا أخذًا وردا في نفسه قبل أن يشارك في العملية التواصلية المشتركة بين متكلم وسامع حاضرين.

أما الشكل الثاني فهو التواصل الشخصي، الذي يكون بين متخاطبين حاضرين، وهذا ما سموه «البيان باللسان» واستدلّوا بذلك على أن اللسان هو ترجمان ما يقع في النفس، كما قسموا الكلام إلى خبر وإنشاء ثم بينوا أغراض الخبر بحسب مقصدية المتكلّم، وأضربه بحسب حالة السامع، وقسموا الإنشاء إلى حقيقي وغير حقيقي، وبه يعرف السامع قصد المتكلم، وهذا ما وصل إليه الدرس التداولي الحديث أو ما سماه أوستين قوة الإنجاز.

ولم يكتف العرب بذلك، بل اهتموا أيضا في هذا الشكل التواصلي بالإشارة، وأولوها اهتماما كبيرا باعتبارها شريكة اللفظ، سواء أكانت مصاحبة له أم منفردة، نائبة عنه، وقد سماها ابن وهب (الوحي) في حين أن غيره من البلاغيين أطلق عليها اسم (الإشارة) ، كما ركزوا على عناصر التواصل الأخرى كالسياق باعتباره عنصرا مساعدا لإقامة التواصل واستمراره .

وإذا كانت العملية التواصلية تقوم على الإفهام، فإنها تقوم على الإقناع أيضا، حيث يعتبر هذا الأخير غاية من غايات التواصل وبذلك تكون علاقة الملقي بالمتلقي علاقة فهم وإفهام إقناع واقتناع، حيث يستدرج الملقي متلقيه ويستميله بعدة طرق من أجل إقناعه.

أما التواصل الاجتماعي، فقد درسوه من جانب الخطابة، باعتبارها أفضل ممثل له، فالخطابة تقوم على إفهام الخطيب جمهور السامعين بشرط أن يحدَث القوم بما يفهمون، وحسب مكانتهم الاجتماعية والعلمية، وحسب المقام الذي يقال فيه الكلام، وهذا ما سموه((مقتضى الحال)، فمن شروطهم موافقة الكلام لمقتضى الحال، وفي ذلك ركز البلاغيون على ما يعيق عملية التواصل، واعتبروه عيبا، ويتعلق ذلك بسلامة نطق الخطيب، وخلُوه من العيوب، كما يتعلّق أيضا باختياره اللفظ الفصيح والكلام الفصيح، أو من جانب اللّحن، وكل ذلك إذا وجد في الكلام فإنه يعيق عملية الفهم والإفهام، وبذلك يعيق العملية التواصلية، إضافة إلى شخصية الخطيب في حد ذاته، فكلما كانت شخصيته أقوم، وكان لباسا ذا هيئة تستقطب الأنظار، فإنه سيستقطب الأذهان أيضا، ويشد الأبصار استعدادا لما سيقوله، ومنه يكون المخاطب (السامع) مستعدا قبلا لفهم الخطيب .

وأخيرا نستطيع القول أن البلاغة العربية قد توصلت إلى أشكال التواصل فعلاً بكلها عناصرها.

قائمة المصادر و المراجع

الرقم	التعيين
*	**القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.**
I.	**الكتب:**
(01	إبريـــر (بشـــير)دلائـــل اكتســـاب اللغـــة في الـــتراث اللســـاني العـــربي-مطبعـــة المعـــارف (عنابة)ط1-2007.
(02	ابـــن الأثـــير (ضـــياء الـــدين)المثـــل الســـائر في أدب الكاتـــب والشـــاعر- قدمـــه وعلّـــق عليـــه: أحمد الحوفي وبدوي طبانة-دار النهضة مصر للطباعة والنشر-ط2-دت.
(03	أرمينكـــو (فرنســـواز)- المقارنـــة التداوليـــة-ترجمـــة: ســـعيد علّـــوش-مركـــز الإنمـــاء القومي (المغرب)- د ط-دت
(04	اســـتيتية (ســـمير شـــريف) -اللســـانيات (المجـــال – الوظيفـــة – المـــنهج)-عـــالم الكتـــب الحديث ط1-2005.
(05	الآمـــدي (أبـــو القاســـم الحســـن بـــن بشـــر)- الموازنـــة بـــين أبي تمـــام والبحـــتري-مكتبـــة الخانجي (القاهرة)ط1- 1972.
(06	امـــرؤ القـــيس (حنـــدج بـــن حجـــر)- ديـــوان امـــريء القـــيس-ضـــبطه وصـــححه:مصـــطفى عبد الشافي-دار الكتب العلمية (لبنان) -ط5-2004 .
(07	أوســـتين (جـــون)-نظريـــة أفعـــال الكـــلام العامـــة (كيـــف ننجـــز الأشـــياء بالكـــلام)-ترجمـــة: عبد القادر قينيني-أفريقيا الشرق (الدار البيضاء-المغرب)-دط1991.
(08	أوكان (عمر)-اللغة والخطاب-إفريقيا الشرق (المغرب)-دط2000. -
(09	آيـــت أوشـــان (علـــي)-الـــنص والســـياق الشـــعري (مـــن البنيـــة إلى القـــراءة)-مطبعـــة النجـــاح الجديدة (المغرب)-ط1-2000
(10	بـــراون (ج ب)وبـــول (ج)-تحليـــل الخطـــاب-ترجمـــة:لطفـــي الزليطـــي، ومنـــير التريكـــي –النشر العلمي والمطابع-جامعة الملك سعود (المملكة العربية السعودية)دط1997.
(11	بشر (كمال)فن الكلام-دار غريب – دط2003.
(12	بلانشـــيه (فيليـــب)التداوليـــة مـــن أوســـتين إلى غوفمـــان-ترجمـــة:صـــابر الحباشـــة-دار الحوار للنشر والتوزيع (اللاذقية-سوريا)-ط1- 2007.
(13	بلخير (عمر)تحليل الخطاب المسرحي -منشورات الاختلاف – ط1- 2003.
(14	بليـــث (هنـــري)البلاغـــة والأســـلوبية (نحـــو نمـــوذج ســـيميائي لتحليـــل الـــنص)ترجمـــة: مُحَمَّد العمري-إفريقيا الشرق (المغرب)ط2- 1999.

15)	بومزبر (الطاهر)التواصل اللساني والشعرية-منشورات الاختلاف-ط2007.
16)	التفتازاني (سعد الدين)- المطول (شرح تلخيص المفتاح)- صححه وعلّق عليه: أحمد عزو عناية-دار إحياء التراث العربي – ط 1-دت.
17)	الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر)-البيان والتبيين- تحقيق وشرح عبد السلام مُحَمَّد هارون-دار الفكر-ط2-دت.
II.	**الرسائل الجامعية:**
01)	حمام (بلقاسم)- اليات التواصل في الخطاب القرآني- أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراة- جامعة الحاج لخضر-باتنة (الجزائر) 2005.
III.	**المجلات و الدوريات:**
01)	مجلة علم المعرفة – المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب- دولة الكويت- المجلد 36- 2007
02)	مجلة العرب و الفكر العالمي- مركز الانماء القومي- العدد05 شتاء 1989.
03)	مجلة فصول- مجلة فصلية تصدر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب-عدد 60-صيف /خريف 2002.

فهرس
الموضوعات

الموضوع	الصفحة
مقدمة	أ-ب-ج
فصل تمهيدي	1
توطئة	2
I-مفهوم التواصل في التراث	4
II-مفهوم التواصل عند المحدثين	9
الفصل الأول	15
توطئة	16
I-مفهوم التواصل الذاتي وعناصره	17
أ. مفهومه	17
ب.عناصره	19
II-وجوهه	22
أ -الاعتبار	22
ب -الاعتقاد	28
ج -الصمت /الإنصات	31
الفصل الثاني	32
توطئة	33
أ -مفهوم التواصل الشخصي	34
ب -عناصره	37
I-البيان باللسان	41
II-الإقناع والتواصل	48
الفصل الثالث	52
توطئة	53
I-مفهوم التواصل الاجتماعي وعناصره	.54
أ. مفهوم التواصل الاجتماعي	54

ب. عناصره	56
IIالخطابة	57
أ. الإفهام	57
ب. الايجاز	58
ج–الاطالة	59
III.مطابقة الكلام لمقتضى الحال.	60
خارجي	63
داخلي	63
الخاتمة	65
قائمة المصادر والمراجع	67
فهرس الموضوعات	71